
المهذَّب السَّبَّيْعِي

رواية
الحُب
الحَلَال

نسخة إلكترونية
الإصدار 0.3



الحُب الحَالِل

المهندَّب بن حسان السَّبَّيحي

m.sbeai@gmail.com

الإصدار الأول | ١٢ أغسطس ٢٠١٠

الإصدار الثاني | ١٧ أغسطس ٢٠١٠ | " تعديل وتنسيق "

الإصدار الثالث | ٣ أغسطس ٢٠١٤ | إعادة صياغة لبعض الفصول

إهداء

أهدي هذه الحروف لنصفي الآخر
للقلب الذي مدّني بالحب والعاطفة التي أمطرت هذه الكلمات . . .
إلى حبيبتي وزوجتي الغالية
تقى قنّاص



- ١ -

قبل بداية الدراسة في صفوف الجامعة كان خالد في أحد الأيام بصحبة والدته للتسجيل بإحدى الجامعات في الأردن، فهو من الذين ترعرعوا في الخليج (أبناء النعمة) كما يصفهم البعض، وما كان قادرا على أن يقوم بالتسجيل بنفسه، وجوه جديدة وأيام كالأشباح تخفي تحت أثوابها أسرار وأقدار وحده قطار الزمن كفيل بأن يكشف هذه الأستار.

في ذلك اليوم رأى خالد فتاة يغلب عليها ملامح أهل الشام، كان حينها في ربيع الثامن عشر حديث عهد بكل شيء. متململ من قيود فرضها عليه مجتمع قدّر له أن يعيش به ... مجتمع لم ينجح في موازنة كفة التوعية الدينية مع كفة الهوى.

فإما أن نقنع الطرف الآخر ونزيد من وعيه أو أن نُجبره على فعل ما نريد فيشعر بالكبت وينتظر اللحظة التي سيبتعد بها عن ذلك المجتمع ليفجر طاقاته، كان خالد واحد من الألوف الذين لم ينجح المجتمع في صقل هويتهم بل نجح في تكوين مجموعة من العلل والتشتت والظنون تتزاحم جميعها في صدر ضيق يكاد يصيب صاحبه بالجنون، مجتمعات مريضة ترفض الاعتراف بأمراضها، ترفض حتى مناقشة الأمر على أنه ظاهرة، بل يبقى الجميع على أبناء فطرة كما كانوا يصفون أنفسهم وأولئك التي تغرق حتى

يافوخها في وحل هذه الأمراض هم دوما القلة القليلة، هم شذوذ القاعدة ولا يجب بأي شكل من الأشكال التحدث عنهم أو معهم ...

مجتمعات يقفز فيها الرجال على الرجال والنساء على النساء، كل ذلك في ظل كبت وعدم توازن بينما يتعرض له المجتمع من انفتاح على المجتمعات الأخرى من خلال عين الأعور الدجال (التلفاز) وبين ما يتلقاه من مواظ وفوائد لم تعد كافية لكي تقشعر لها حتى بعض شعرات الجسم لأنه الكفة الأولى رانت على الإنسان فتلبد إحساسه وبات يريد إشباع حاجات يعتقد بأنه بحاجة إلى إشباعها بشتى الطرق.

كان خالد قد قطع عهدا على نفسه أن يخرج من شرنفته أن يطلق العنان لرجولته أن يتعرف على الجنس الآخر ويسبر أغواره وأسراره، هكذا عاش لسنوات طويلة محروم من ذلك -على الأقل بحسب ما يظن- وهو يرى في ابتعاده عن ذلك المجتمع الفرصة الوحيدة تلك الفرصة المتكبرة التي لا تطرق باب المرء إلا مرة في العمر.

تبادل خالد وتلك الفتاة نظرات سريعة مع ابتسامة تقطر سما قاتل ثم مضى كل في طريقه.



- ٢ -

عاد خالد من الأردن إلى وطنه الأم سوريا ينتظر بلهفة وبشوق تاريخ بداية الدراسة وكانت الأيام تسير ببطء شديد وكأنها تتعمد ذلك، ولكنه بكل حال أمضى خالد هذه الأيام باعتبار بأن هذه الأيام هي الأخيرة من نوعها التي سيحظى به في حياته لشؤم ما خُيِّلَ له من كلام الناس عن المآسي التي سيواجهها في الجامعة وهكذا مجتمعاتنا تستورد وتستهلك كل شيء تقريبا ولكنها الأفضل في تصدير أطنان من السوداوية والسلبية في كل مناحي الحياة، مرت الأيام كالسنوات إلا أنه لا بد من أن تمر بكل الأحوال.

تدفقت أفواج الطلاب على اختلاف أعراقهم وجنسياتهم وألوانهم وأديانهم بغية التعلُّم والحصول على الشهادة ليكمل كل منهم مسيرة حَيَاتِهِ، يستمر بعضهم حتى النهاية ويكون على قدر من المسؤولية والأمانة التي حملها إياه أبواه ومنهم من يستسلم ويعود أدراجه بخفي حنين، وحدها الأيام التي تضع الطلاب في الغريال ليفرق بينهم.

في اليوم الأول من الدراسة ولمساوي الصدف التقى معها من جديد فتبادل مرة أخرى الابتسامة، وفي حالات كهذه لا يكون التبسم في وجه الأخت صدقة بل على العكس تماما وكذلك البدايات الخاطئة لا تكون أبدا كالبدايات

الصحيحة فالبدائيات الصحيحة غالبا ما تكون الخطوة الأولى فيها صعبة ثم يسهل كل شيء من بعدها أما هذه فما أسهل الخطوات الأولى ثم يصبح كل شيء من بعدها صعبا.

كان ذلك بالنسبة له تجربة جديدة والميزة الشيطانية بها أنه في بعد عن أنظار أهله وعيون مجتمعه، بعيد لدرجة أنها أنستته أن هناك من يراه من فوق سبع سموات وأن هناك رَقِيْبًا يُسَجِّلُ له كل شاردة وواردة.

بدأ الطلاب بشراء الكتب الجامعية، الكل يُقْلِبُها وَيَضُمُّها كما تضم الأم مولداً لها، كانوا فرحين بهذه المرحلة من حياتهم خائفين مما يخفيه لهم المستقبل والفالح من انشغل بحاضره عن انشغاله بماضيه أو مستقبليه، تخلّت أيام خالد الأولى في الجامعة الكثير من الفكاهات وثأه كثيرا في ممراتها وهو يبحث عن قاعات الدراسة وكثيرا ما سأل طلابا يبدوا عليهم أنهم أقدام منه فإن كُنْ يَبْحَثُ عَنِ الشَّرْقِ أرشده إلى الغرب وإن سألهم عن الشَّمَالِ قَدَّفُوهُ إلى الجنوب يفعلون ذلك انتقاما لأنفسهم فقد سبق وأن فعلا بهم ذلك من هم أقدم منهم.

بدأ خالد بالتعرف على الكثير من الطلاب، يختلقون الصدف ويستغلون أي سبب للتعرف على بعضهم البعض ويجمعون في السنة الأولى أكبر عدد ممكن أن يجمعوه في حياتهم كلها من الأصدقاء وكأنهم يمارسون هواية كانوا قد حرموا منها في سابق عهدهم، ولكن لا تلبث هذه الصدقات بالاختفاء شيئا

فشيئاً ليبقى لك من كل مئة تعرفت عليهم عشر أصدقاء فقط، وبعد التخرج سيبقى من كل عشرة صديق صدوق واحد ... هذا إن بقي.

كان خالد يحمل من العلم الشرعي شيء لا بأس به إذا ما قورن بغيره ولكنه لم يقرن علمه بأي عمل، فنشأته في مجتمع تلقيني لم تساعد على الاقتناع والتشبث بالهوية المصطنعة التي أجبروه على ارتدائها كما كانوا يجبروه على ارتداء زيهم الوطني في المدارس، انتقى خالد من بين الكثير من بين كل من تعرف عليهم أكثر من يناقضه بصفاته بغير عمد، واختاره شريكا له في السكن ... التناقضات التي بينهم كانت محل استغراب الكثيرين أن كيف اتفق خالد ونور معا وكيف انسجما !!

كان خالد ممثلي الجسم وكان نور نحيلاً جداً، كان خالد يحب قصات الشعر القصيرة وكان نور طويل الشعر يصله شعره إلى أكتافه، كان خالد محافظاً على فرائض دينه وكان نور مفرطاً إلى حد كبير فيها، وكثير ما كان خالد يمازح أصدقائه حين زيارته وكذلك نور يمازح أصدقائه بأن يقول كل منها بأن هنا الجنة وهنا النار يعني كل منهما غرفة الآخر ... يبدو أن الحياة لا تكون ممتعة في معاشرة أولئك الذين يشبهوننا وإن كان فستكون الحياة رتيبة مملة ويبدو بأن من جمع النقيضين ليس خالد ونور فحسب فكانت الجامعة تعرض الكثير من هذه النماذج، فأطول طالب يمشي مع أقصر طالب،

وأجمل طالبة تمشي مع أبشع طالبة، والأولى على الدفعة يفضل من زملائه
أقلهم للتحصيل العلمي.

وعلى ذكر ذلك الطويل أنس الذي كان أحد أصدقاء خالد، عُزِّرَ به ذات يوم
حينما أرشده أحد المشاكسين إلى سكن الطالبات دون أن يدري ولم يدرك أنه
في سكن الطالبات حتى وبَّخه أحد حراس الأمن في ذلك السكن، بعد تلك
الحادثة قرر خالد أن لا يسأل إلا الفتيات ليس لمتعة سؤالهن وإنما لأن أي
أحد منهن يستحيل أن يرشد السائل إلى مكان خاطئ أبداً .. أمضى خالد
وقتاً طويلاً في الجامعة لكي يعرف دهاليزها ومنعطفاتها وترك في كل زاوية
منها ذكرى لا تنسى وكان ذلك المكان الذي تفضله تلك الفتاة التي لا يجمعه
بينه وبينها إلا بعض الابتسامات والنظرات المكان المفضل له.



- ٣ -

كانت تلك الفتاة التي لا يزال يجهل حتى اسمها وموطنها ويجهل كل شيء عنها إلا حقيقة أنها تدرس في كلية الصيدلة وكثيرا ما تكون متواجدة في مبنى الكلية وما حولها ...

- كم أنت أحمق، ينعتة صديقه نور بذلك! وهو يراه وهو يتعب فكره وجسده بالتفكير بها وبوضع خطط وقصص في خياله الخصب والتي يمكن أن تختفي في لحظة من الزمن تمام كالأحلام الملحمية التي تنتهي صخابة أحداثها بفتح العينين حين الاستيقاظ.
- ولماذا تصفني بالأحمق؟ يرد خالد.
- لأنك تبني الكثير من الأشياء على وهم وسراب، اذهب وتحدث إليها تعرف عليها لعلك تكرهها من أول لقاء.
- لا لا، أنا متأكد أنها إن نطقت فستلفظ أجمل الألحان.
- يرد نور غاضبا، لا أحب أن أستشهد بأقوال الملتزمين ولكن هذه المقولة أعجبتني "من أحب شيئا غير الله عذب به" وما أنا أراك تتعذب، هل تحب أن أذهب إليها أن وأتحدث إليها وأعرفك عليها؟
- يرد خالد بخوف: لا أرجوك، دعني وما أحببت وحيدا، أريد أن أحدث أهلي بها فليس بيني وبينها أي رباط شرعي يخولني أن أتحدث لها.

- فصعقه نور برده قائلا: وهل هناك أي مخول شرعي يخولك أن تنتظر لها عشرات المرات كل يوم وتبادلها الابتسامات وتعذب نفسك بالتفكير بها كل يوم؟
- فلم ينبس خالد ببنت شفة.

رغم كل التأنيب الذي تلقاه خالد من أصدقائه بشأن حبيبته كما سماها استمرت أقدامه تجرّه يوما بعد يوم إلى كُليّة الصيّلة لا يهدأ له بال حتى يراها ثم يعود إلى سكنه، وكأنه يظن بأنه بهذا يطمئن عليها فإذا لم تحضر أخذ يدور ويفكر خوفا من أي مصاب أصابها فإذا رآها بعد يوم أو يومين تحمل المناديل بيدها من أثر زكام ألم بها أخذ يدعو على نفسه: "إن شاء الله فيني ولا فيكي"، كل ذلك ولم يكن بينه وبينها إلا ابتسامات ونظرات لا أكثر.

يظهر سمير على الساحة وهو الصديق الذي كان يمثل لخالد الأخ الكبير الذي يعتني بأخاه الصغير، فقد كان خالد طري العظم طيب القلب ويحتاج من يوجهه كي لا يضيع، حاول سمير كثيرا أن يحول دون تطور هذه العلاقة المبتورة ذات الطرف الواحد ... الطرف الحالم المتوهم.

- يا خالد: هل تريد نصيحة أخ لأخيه؟

- نعم ويا حبي لنصائحك.
- أمامك خيارين لا ثالث لهما، فإما أن تحدث أهلك فيخطبوا لك البنات بشكل رسمي وإما تتوقف عن هذه التخييلات لأنه العواقب ستكون وخيمة.
- يرد خالد وصوته يتعثر في حلقه قبل أن يخرج: أنت لا تعرف يا سمير كيف أشعر تجاه هذه الفتاة ... الجميع يظنني أكذب أو أتخيل.
- بل يا خالد أعرف حق المعرفة ما تعنيه لأنني مررت بتجربة شبيهة، دعني أقص عليك: لعل تجربتي تختلف عن قصتك بأن علاقة الحب كانت بين طرفين ولكن تشابه قصتك في أن العلاقة لا تدخل البيوت من أبوابها، لقد كانت قصة حبي على الإنترنت ولا تتفاجئ إن قلت لك بأني لم أرى البنات طيلة أربع سنوات ولم نتعلق ببعضنا البعض إلا بسبب حب من الحروف التي رصفتة أيدينا في برنامج المحادثة (الماسنجر).
- وطيلة هذه الفترة لما تتبادلي حتى صورة، لم تسمع صوتها ؟!
- لقد أرسلت لها صورة لي ولكن لا يجمع بيني وبينها إلا هذه الحروف كما أخبرتك ولم أراها ولم أسمع صوتها.
- ثم ماذا؟
- ثم انتهى كل شيء بلمح البصر، الفتاة تقدم لخطبتها قريب لها وأبوها أصر إلا أن تتزوجها وعندما أخبرتها بقصة حبها كاد أن يقتلها وحاولت الفتاة بشتى الطرق أن تحول دون نجاح هذه العلاقة ولكن قدر الله حال

دون كل محاولاتها وكنت في خضم تلك الأحداث كالميت الحي أنلقى
الطعنات في قلبي تلو الطعنات مع كل خبر يأتييني إلى أن انهارت كل
أحلامي كصف طويل من أحجار الدومينو وكان ذلك في ليلة زفافها،
وأنا لا أريد يا خالد أن تستمر حالتك لسنوات ثم تصاب في ليلة
وضحاها بخبر ينسف كل توقعاتك خبر يكاد يفقدك عقلك كما كدت أن
أفقد عقلي لولا رحمة ولطف الله بي.

- يرد خالد بذهول يعتريه خوف من أن يكون هو الضحية التالية: إنها حقا
لقصة تدمي القلب ويجب أن أتخذ خطوة جدية كما نصحتني قبل أن
يقع الفأس بالرأس.

- يقاطعه سمير: انتظر وهل تظن أن قصتي انتهت عند زواجها !! لقد
تابعت أخبارها من خلال قريبة لي وكانت تخبرني أن حياتها مع قريبها
هذا الذي أصبح زوجها عنوة كانت كالجحيم وأنها نجحت أكثر من مرة
أن تسقط جنينها قبل أن تثبت فيه الروح، فهي تكرهه زوجها لدرجة أنها
لا تريد أن تشبع من خلاله غريزة الأمومة فكل شيء منه مكروه حتى
وإن كان أغلى ما في الكون (الولد) وبعد سنوات قليلة انتهت علاقتها
بالطلاق، فعدت من جديد وتواصلت معها على أمل أنه ما زال هناك
خيطة أمل رقيق وهنا جرح قلبي الجرح الأخير فهو مثخن بالجراح ولم
يعد يحتمل ... من شدة حبها لي رفضت أن تتزوج بي لأنها لا تقبل لي
إلا أن أتزوج بكرة وهي لم تعد كذلك وكانت تصدني وتتهرب مني إلى

أن انتهت علاقتنا كلياً وتوقفنا عن التواصل بلا لا أعرف حتى أخبرها
ولا أعرف الآن شيئاً عنها ولعلها هي كذلك.

- يرد خالد بخوف: يؤسفني سماع قصتك وأعدك أن أخبر والدي عن
رغبتني بخطبة هذه البنت فور عودتي إلى والداي بعد انتهاء الفصل
الدراسي ولكني سأطلب منك طلباً صغيراً.
- حبيبي خالد اطلب ما تشاء ولا تخجل فأنت كأخي وأعز.
- في مادة مقدمة إلى تكنولوجيا المعلومات أخت حبيبتني ورأيتك أكثر من
مرة تحدثها هل يمكن أن تعرف لي ما اسمها (ما اسم اختها) وهل يمكن
أن تدبر لي سبيلاً للتواصل مع أم الفتاة لكي أطلب من أمي أن تحدثها؟
- يرد سمير أما اسمها فهو سلام وأما بالنسبة لأمها فقد توفاه الله قبل
بضع سنوات وأما عن سبيل التواصل، فسأطلب منك أولاً أن تستشير
أهلك ومن ثم تواصل معي لأدبر لك رقم هاتف والداها بنفس اليوم.

كان رد سمير الأخير كالصاعقة على مسمع خالد فرغم أنه استأنس بمعرفة
اسمها إلا أنه حزن حزناً شديداً على كونها يتيمة الأم وزاد تعلقه بها فهو مذ
رأها أول مرة لمس حزناً عميقاً من عيونها إلا أنه كان يجهل سببه والآن
بعد أن عرف السبب زاد تعلقه بالفتاة وقطعا عهداً على نفسه أن يملئ هذا
الفراغ الذي شكله فقدان أمها ووعد نفسه أن يبذل أحزانها أفراحاً، كيف لا
يفعل ذلك وقد أسرت قلبه بعيناها الحزینتین وابتسامتها العذبة، كيف لا
يزداد تعلقاً بها وهي كلما وقعت عينه في عيناها أطرقت بناظرها إلى

الأرض خجلا فما زاده ذلك إلا عشقا فوق عشقه ... كانت هناك القليل من الأسباب البسيطة في ناظره أسبابا كثيرا وكافية ليقع في حبها ... ملئت صفحات مذكراته باسمها وأصبح ينادي في ظلام الليل عليها لعلها تجيبها لعل روحه تتجح في التخاطر مع روحها وكان لوهله يظن بأن كلماته تصل فيستمر بالتحدث إلى نفسه لساعات في جوف الليل يشرب القهوة ويحرق صدره بدخان السجائر .

بحسن نية قرر خالد بأنه بمجر عودته لأهله بعد انتهاء الفصل الدراسي الأول سيخبرهم عنها ليخطبوها له فيتزوجها ويعيش معها بقية أيام دراسته في الأردن حتى ينهي كل منهما دراسته الجامعية وكانت هذه التخييلات تكبر يوما بعد يوم وكأنها شجرة يسقيها من نبع الأوهام، وتطورت حالته مع مرور الوقت وازدادت تلك الأحداث التي أصطنعها والتي سماها لأصدقائه بالصدف لكي يراها، ومن ثم تتبع أخبارها ليراه في مدينة إريد التي كان يقطن بها آن ذاك، حيث أن الجامعة كانت تنظم للفتيات كل يوم رحلات لهذه المدينة القريبة من الجامعة ثم تعيدهم إلى السكن الجامعي، مرت الأيام و أصبحت الأوهام تتأطح السحاب لدرجة أنه كنت يرمق من ينظر لها أو يحدثها بالعين الحمراء ويعقده تستقر بين حاجبيه وكأنها زوجته أو أخته وقد بادلته هي الأخرى أحيانا تلك التصرفات .

العذاب الحقيقي لخالد كان يكمن في كونه لا يستطيع الجزم إن كانت سلام تعيش نفس الوهم معه وتبادلته نفس المشاعر أم أنها كانت تلهو، في ذلك الفصل الدراسي الذي لم تتجاوز أيامه الأربعة شهور نقص وزن خالد بشكل كبير وفقد ما يقارب الخمسة عشر كيلوجراماً خلال هذه الفترة القصيرة، ولم يكن الجاني على شحومه إلا كثرة التفكير والتوهم بأن هذا الفتاة ستصبح شريكة حياته عمّا قريب.

يعود نور يوماً ما ليناقدش خالد عن علاقته هذه كحال كثير من الأصدقاء الآخرين الذين لا يجدون أي شيء من المنطق فيما يحدث، ويسأله، هل قررت أن تتحدث لها هل تريدني أن أساعدك في ذلك؟

- يرد خالد: أحمّد الله يا نور أن بعضاً مما تعلمته من العلوم الشرعية أثناء مراحل دراستي السابقة ردعني من أن أتمادى في الوقوع في ذنب غير النظر، وجعلني متمسكاً بمبدأ ألا أكلّم هذه الفتاة حتى أتقدّم لها بشكل رسمي ويصبح بيننا رابط شرعي.

- كفاك نفاقاً يا خالد ما بالك لا تجرؤ على محادثتها وأرى أن لك زملاء فتيات تحدثهم في مادة اللغة الإنجليزية والاقتصاد الكلي، فما هو الرابط الشرعي بينك وبينهم؟

- يرد خالد: هؤلاء مجرد زميلات لا تتعدى علاقتنا ذلك.

- فيتسأل نور بسخرية: وهل تعلمت في مدرستك أن التحدث مع الزميلات حتى ولو في شؤون الدراسة جائز؟ أنا أعلم أنه الخلوة بالمرأة محرمة ولو كان ما اختلى بها يعلمها القرآن، فما قولك؟
- ينهزم خالد مجددا أمام نور وأمام نفسه التي تحاول أن تثبت له بأن خلفيته الدينية النظرية لم تفده في أي شيء في الجانب العملي إلا أنها ساهمت في مضاعفة ذنبه لأن الجاهل إذا وقع بالذنب وهو لا يدري بأنه ذنب كان ذنبه أصغر ممن قام به وهو يعلم بأنه ذنب، ويعلم خالد انسحابه ويعترف بخطئه لنور: أنت على حق والآن اعذرني يجب أن أقوم ببعض الواجبات.

انتهى الفصل الدراسي الأول وعاد خالد لأهله متحمسا لمناقشة هذا الموضوع معهم غير أنه بمستوى تحصيله فالموالد الأربعة التي سجلها ذلك الفصل لم ينجح إلا بائنتين منها وحتى درجة نجاحه في هذه المادتين كانت متدنية، على طريق السفر كان خالد ينتظر لحظة لقاء أهله بشوق ليخبرهم بما ظنه أن سيطير عقولهم من الفرحه وما يجعلهم يتقدمون لهذه الفتاة بأسرع وقت.

وعند لقاء الأهل لم يلبث إلا أن فاتحهم بالموضوع يتحدث بحماسة مفرطة عن الفتاة وعن اسمها ونسبها وعن تخصصها وعن حياتها ... تحدث كثيرا وأهله يستمعون دون مقاطعة ... ولكن ردة الفعل كانت صدمة كبيرة بالنسبة له: وقد تمثلت برفض قاطع يتعذر بإنهاء الدراسة وهنا كانت الصدمة وكان

ثمن التوهم غالبًا حارقًا للقلب مُجبرًا للدموع .. حاول أكثر من مرة خالد أن يفهم سبب الرفض وما المانع من ذلك وأخذ يتغنى لأهله بمحاسن الزواج المبكر إلى أن قال أباه له يوم ما:

- بابا دعنا نتحدث بمنطقية، أنت الآن تدرس وليس لديك أي مصدر دخل، ألا يكفي أنني أقدم لك دم قلبي وشقاء عمري في سبيل أن أراك رجلاً قادراً على الاعتماد على نفسه، هل تستطيع أن تفتح بيتاً إن لم أقم أنا بدعمك؟
- طبعاً لا أستطيع يا والدي فليس لدي صنعة أمتنها ولا شهادة أتوظف بها.
- فرد الأب بصرامة: إذن هل تتوقع مني أصرف عليك وعلى زوجتك، هل ستأثيني يوماً وتقول لي بأنك تحتاج زيادة في مصروفك ثمن حليب وحفاضات ابنك حال أنجبتم؟ أكمل دراستك وتخرج وبعد أن تتوظف تعال وقل لي أنك تريد الزواج ولكن في هذا الوقت حاول أن تنسى الموضوع كلياً.

مرت أيام خالد في تلك الإجازة بين الفصلين الدراسيين حزيناً كالحداد.



-٤-

عاد خالد إلى الأردن يجبر خلفه أنيال الهزيمة يترنح بخطواته مع ظهر مقوَّس وكأن رفض أهله لطلبه جعله يهرم وهو في عز شبابه، غدا يبدأ الفصل الثاني وكان هذا الفصل كالعذاب بالنسبة له فهو يراها هذه المرة بالصدفة لا الصدفة المصطنعة التي كان يقوم بها في أول فصل وإنما الصدفة الحقيقة هذه المرة وكان كلما يراها يتحسر على غيابها، يتحسر على وقته الذي ضاع وهو يتتوهم، يتحسر على عشرات النصائح التي انهالت عليه من أصدقائه ولكنه لم يستمع له، يتحسر كلما رآها ويشعر بحشجة في قلبه يحس بأنه يتفطر،

عاد من جديد خالد يخسر وزنه ولكن هذه المرة لا بسبب التفكير بها وإنما لأنه نفسه عافت الطعام بعد أن حرمت هذا الحبيب فأضاف إلى الخمسة عشرة كيلو التي خسرها في أول فصل عشرة كيلوجرامات أخرى.

أمسك خالد بقلم ومفكرة زرقاء صغيرة وجعل يشكو له آلامه، كانت صفحاتها قد امتلأت بذكريات خرساء تؤلمه كلما قرأ منها شيئاً، كتب بهذا المفكرة الكثير وبكى كثيراً وهو يكتب حتى امتلأ ذلك الدفتر الصغير بمزيج من الدموع والخواطر والرسائل.

"سؤال بلا جواب

لما قَدَّرَ لي أن أراها .. وأن تقع في قلبي من النظرة الأولى

هل كان هذا غياب؟.... أم كان ابتلاء؟

هل كان ذنبي أم ذنبها؟

نُقِشت صورتها على قلبي كما تنقش صورة الأم في مخيلة ولدها.

ويتدخل القدر كما جمعني بها .. أبعدني عنها.

والقلب المجروح .. لن ينساها ..

لا لن ينساها ولو التأمت الجروح

لن ينساها حتى يتوقف نبضه..!!

لكنه يتمنى لها الخير دائما.

ويستمر السؤال بلا جواب

هل كان هذا غياب؟ أم كان ابتلاء"

كأنت هذه إحدى الخواطر التي خطها في إحدى صفحات تلك المفكرة، لقد كان سؤاله بلا جواب في تلك الأيام ولكن حتما سيجد جوابه بعد أن تمر سنوات من تلك الحادثة، إلا أنه حصل على إجابة من صديقه سمير الذي قرأ هذه الخاطرة فقال لخالد: هل تريد أن تعرف الجواب؟

- قال خالد نعم.

- فرد عليه سمير: أنت من ظلمت نفسك ولم يظلمك أحد، تماما كما فعلت أنا، وهذه عقوبة كل شخص لا يدخل البيت من بابه.
- يرد خالد: نعم أنت محق لقد ظلمت نفسي كثيرا منذ أن عصيت أمر ربي بعدم غض البصر وظلمت نفسي أكثر عندما كررت النظر وظلمتها أكثر وأكثر عندما بدأت بالتخيل والتوهم ولكني أستحق ما حصل لي فكل ذلك من حصاد زرعي.

أخذ خالد يخط ذات يوم في مفكرته: "نحن عندما لا نحب بالطريقة الصحيحة ندنس الحب كما يندس عامل البناء بنطاله الأبيض أثناء عمله فإن سألته عن سر اختيار اللون الأبيض من سائر الألوان الأخرى التي قد لا يظهر عليها الاتساخ قال لك: لم أجِد غيره في سوق الملابس المستعملة وهذا حال من يحب بالطرق العوجاء يقنع نفسه بأنه لم يجد نفسه إلا منغمس في رمال الحب المتحركة فلا يرى لونه ولا يستطيع أن يتخيل عواقبه، نحن عندما لا نحب بالطريقة التي شرعها الله لنا وهو أعلم بنفوسنا وأعلم بمصالحنا من الناس أجمعين فإننا نشوه صفاء الحب ونشوه سمعته". يبدو بأنه بدأ بالتعافي.

في ذلك الفصل أيضا أخفق خالد إخفاقا كبيرا وترك الجامعة التي كان يدرس فيها وتدرس فيها سلام (جامعة العلوم والتكنولوجيا) منتقلا إلى جامعة أخرى لكيلا يراها مجددا ومع ذلك استمرت الصدف تجمعهم في شارع الجامعة في

مدينة إريد فهو الشارع الأكثر حيوية في تلك المدينة الصغيرة بالنسبة لطلاب الجامعات ... فكر ثم توصل إلى حل يساعده على نسيانها وهو الانتقال إلى مدينة أخرى.

ترك خالد حينها مدينة إريد لينتقل إلى عمان -العاصمة- كانت هي الأخرى قريبة من جامعة فيلادلفيا التي انتقل لها، وهناك بعيداً أخذ يحاول أن يتناسى ذكرى ذلك الحب وحيد الطرف بصعوبة وقطع عهداً على نفسه أن لا يفكر بالحب مُجدداً حتى إشعار آخر، وهكذا انتهت قصة خالد مع الحب الوهمي .. الحب الحرام .. الحب الملتوي .. الحب الأعوج، لم يكن يعرف خالد كيف يهين ويسخف من هذا النوع من الحب إلا أنه كان ينعته بأسوء الألفاظ ... ربما كان الحب الأعوج أفضل اسم منحه إياه ومضت السنين وتخرجت من الجامعة بتوفيق من الله ودفنت قصة الحب تلك في صفحات هذه المفكرة الزرقاء الصغيرة وترك ركام أوهامه ورماد خياله المحترق خلفه ورمى بكل التفاصيل في محيط المفكر الأبيض ثم لف المفكرة بالعديد من الأشرطة اللاصقة لا يدري هو يحنطها أو يحولها إلى مومياء كان يريد أن تعجز يده ويد غيره إلى الوصول إليها ... كان يحاول أن يرتاح، يرتاح إذا نسي، ينسى إذا ابتعد، وقد ابتعد بما فيه الكفاية.

الأخ الكبير سمير الذي كان يحنو على خالد ترك الأردن ليكمل دراسته في المدينة المنورة إلا أن الشوق دفعه أن يطلب من قائد الحافلة التي كانت تتجه

به من المدينة المنورة إلى دمشق أن ينزله في إريد، وكنت حينها قد عدت لها بعد أن وجدت نفسي قد تحليت بشجاعة كافية للعودة لأنني كنت أحب إريد أكثر من حبي لعمان ... لعل البساطة هي سر جمالها، اتصل بنا منير وفاجئنا بزيارته المفاجئة التي لم تدم أكثر من يومين ثم قرر أن يشد الرحالة إلى حبيته دمشق ... ولكنه لم يصل إلى الحدود السورية إلا وقد تم اعتقاله على عجل ليزج في سجون المخابرات حتى تمت محاكمته بخمس سنوات عجاف بحكم التعامل مع حماس والتعاطف مع منظمات إرهابية -القاعدة- على وجه التحديد، عجيب أمر هذا النظام فلو فرضنا أن تخاebre مع حماس كان حقيقة أوليس النظام السوري سيد الممانعة والمقاومة كما يزعم، فكيف يجرم هذا التصرف؟ ثم هل تكفل ورقة حقيرة كتبها حقير ابن حقير، شخص اسمه سليمان ويبدو بأنه كان من رجال المخابرات الذي يعيشون بين الطلاب السوريين في الأردن وقد كتب بسمير تقريراً مخابراتياً بخط جميل وواضح وذكر به بأن سميّر كان قد وضع على في بطن خزانته في الجامعة صورة لأسامة بن لادن ... يا إلهي هل هذه تهمة كافية لزرجه في السجن خمس سنوات ... وقصة سميّر هي واحد من عشرات القصص التي كنا نسمعها ونحن في الأردن، نعم وكنا في كل مرة نسلم فيها جواز سفرنا عند النقاط الحدودية من أجل ختم الدخول نضع يدينا على قلوبنا خشية أن يطير ونقرأ المعوذات وآية الكرسي خوفاً من نظام ديكتاتوري زرع الخوف في صدور أبناء وطنه بدلاً من أن يزرع الثقة والمحبة، وحال النظام السوري كحال

العديد من الأنظمة العربية الأخرى التي لا تعرف سبيلا في مواجهها مخالفتها إلا قمعه وقتله أو دفنه في ظلمات سجونها المستبدة لسنوات.

في تلك الأيام أبدل الله خالد أخاه سمير أخا آخر يهتم به وينصحه ويصقل شخصيته كان ذلك الشخص محمد، والذي أخذ خالد يبادل له كل أسراره ويشاركه كل آلامه وكذلك فعل محمد بالمقابل، وكان محمد لعوبا صاحب علاقات كثيرة لعله كان يحاول الانتقام من خلالها من جنس النساء كلهم وذلك بسبب جرح تسبب به له إحداهن حينما حاول مرارا وتكرار الارتباط بها وكان هي تصده مرارا وتكرار دون كلل أو ملل.

كان خالد يبحث بين أصدقائه عن أصحاب تجارب فاشلة ويستأنس بسماعها وكأنه يواسي نفسه به ويحدثها بألا تحزن ولا تنكسر ويثبت لها ذلك بأن أمثاله كثر، رغم أنه لا يؤمن بأن هذا النوع من القصص يستحق التخليد ويستحق أن يدون على ورق وكان يرى بأن الأجدر بمن خاض هذا النوع من التجارب أن يجعل من تجربته درسا وعبرة لنفسه كي لا يحب بطريقة عوجاء من جديد، ولهذا جعل مفكرته كالمومياء ورماها في مكان سحيق في مستودع منزلهم في دمشق.



- ٥ -

الحب العذري كلمة كثير ما نسمعها ولكن دون أن نعي مصدرها فليس كل الكلام قاموسي المصدر، إذا سمعها أحدنا خطر على باله أنه يعني ذاك الحب البريء ذو النوايا الحسنة التي لا يرجو بها المحب من حبيبه مالا أو جاهاً .. وإنما هو حُبٌّ من أجل الحُب .. مثله كمثل حُبِّ الأمهات والآباء لأولادهم .. حيث يجني البنون منه الود والحنان والتضحية بالنفس والنفيس. والحب الفطري عند الإنسان وعند الحيوان هو حب غريزي والحديث عنه يطول، كلمة العذري أنت من قبائل يقال لهم بنو عذرة كانت تقطن في شمال الحجاز وتمتد بطونها وأفخاذها من المدينة إلى الشام، كانت حياتهم هادئة وآمنة مقارنةً مع القبائل الأخرى وخلت أيامهم من الحروب والعداوات، وكان لهذا أثر كبير في خلق شعر غنائي متميز عن شعر باقي القبائل العربية قوامه التعبير عن آلام النفس إزاء الحب وكأنهم بسبب هذا الفراغ والانطواء وجدوا وقتاً كافياً للتعبير بهذا الغزل حتى قيل عنهم أن كثيراً من شبابهم ونسائهم ماتوا بسبب العشق وكان إذا سُئِلَ أحدهم ممن أنت فيقول: من قوم إذا أحبوا ماتوا، ويضيف آخرون أنهم كانوا رقيقِي القلوب وكانت نسائهم من أجمل نساء العرب، جاء الإسلام فصقل شعرهم بتعاليمه وتوقف شعراء بنو عذرة عن استخدام الأوصاف الإباحية في شعرهم ليصبح عفيفاً نبيلاً ..

وامتدت جذور هذه المشاعر من البادية إلى الحضر في الحجاز في مكة والمدينة إذا تجد أن نساءهم ورجالهم يتميزوا عن أقرانهم في تلك المنطقة في الكلام حتى عصرنا هذا، فتجد بين طبقات كلماتهم مشاعر ملتبهة لا تلمس في نسيجها البديع لا تكلفا ولا مبالغة تجمع حروفها الحزن والسعادة واليأس والرجاء وقد تفاوتت الآراء عن أولئك الشعراء فمنهم من حرم أسلوبهم ومنهم من قال أنه عفيف طاهر لا يعارض الإسلام في شيء وكانت حجة من جعلوه مكروها أقوى .. فكيف للشاعر العاشق أن يعشق فتاة أو يحبها على فرض أنه لا يراها ولا يحدثها.. وإلا فهو يفعل الحرام إن ثبت عكس ذلك.

يقراً خالد هنا وهناك عن الحب والتساؤلات التي كان يطرحها خالد على نفسه باستمرار: هل بقي من بنو عذرة أحد ليأتي ويرى ماذا صنع الناس بالحب؟ وهل تبقى من يحب بحب أهل عذرة؟ وأين حب هذه الأيام من حبهم الطاهر الفطري الذي لا يعرف مصلحة ولا مال ولا وصال ولا جمالا و لا محال .. لم أقرأ أجمل من قصص حب بنو عذرة وأتمنى أن يكون حبي لزوجتي عذريا فطريا

هكذا كان خالد يمضي أيامه بالقراءة عن الحب، وعن الروايات التي تتحدث عن الحب، فرغم تجربته السيئة إلا أنه الكبت الذي عاشه لسنوات لم تنطفئ نارها بعد، لم يقرأ خالد كتابا في حياته ولكن هذه التجربة جعلته يقرأ عشرات

الكتب مبتدئا برواتي مموزين المترجمة إلى العربية عن الأدب الكردي
والأخرى رواية ماجدولين التي خطها المنفلوطي.

وكان يقتبس من هنا وهناك ويطلع بعض المقاطع ويعلقها في غرفته، كانت
إحدى القصائد التي علقها وتأمل فيها طول تأمل القصيدة التي خطها ابن
الأحنف في فتاة اسمها ظلوم كانت الحب الثاني في حياته، يقول ابن
الأحنف:

أُظْلِمُ حَانَ إِلَى الْقُبُورِ ذَهَابِي * * * وَبَلَيْتُ قَبْلَ الْمَوْتِ فِي أَثَوَابِي
فَعَلَيْكَ يَا سَكْنِي السَّلَامُ فَإِنِّي * * * عَمَّا قَلِيلٍ فاعْلَمَنَّ حِسَابِي
جَرَعَتِي غُصَصَ الْمَنِيِّ بِالْهَوَى * * * أَفَمَا بَعِيشِكَ تَرْحَمِينَ شَبَابِي
سُبْحَانَ مَنْ لَوْ شَاءَ سَوَى بَيْنَنَا * * * وَأَدَالَ مِنْكَ لَقَدْ أَطْلَبَ عَذَابِي

شهور تجر شهور ليستطيع ذاك الأعزب خالد أن يقول بأنه بلغ الخامسة
والعشرين من عمره، وهو من زمان بعيد يفكر في الزواج ويتحدث عنه
ويكتب عنه ويحلم به منذ أن كان في الثامنة عشرة حينما وقع قلبه أسيرًا في
شراك حب من طرف واحد ظلم به نفسه بنفسه فكسر خاطره وقطع فؤاده بعد
أن رفض أهله بأن يتقدموا لتلك الفتاة لأنه صغير بنظرهم.

بعدما استطاع جمع شتاته المبعثر من هناك وهناك وبعد أن جفت الدموع وتوقفت خواطره وفقد الأمل وترك المدينة والجامعة التي كان بها، بغية ألا يرى حبيبته قطع عهدا على نفسه بأن لا يقع في علاقة عاطفية مع أي فتاة إلا التي سيعقد عليها النكاح كي لا يكسر قلبه أو قلب غيره، ولبس محبس (خاتم) الخطبة في يده أكثر من سنتين ليس لشرعيته ولكن ظننا منه بأنه سينفّر جنس حواء عنه، خصوصا تلك النوعية التي تتضمن لصفوف الجامعة لنقص العريس (اللقطة) كما كانوا يسمونه فمعظم تلك النوعية من النساء كانوا ينظرون في يد الرجال ليعرفوا ما إذا كان مرتبطا أم لا لغاية لا يعلمها إلا الله .. فكان يلبسه لهذا الخاتم معلنا إخلاصه لزوجته لا يدري في ذلك الوقت من تكون ولا يدري هل سيحيى لتلك اللحظة ليراها أم لا.

الحقيقة تغص في الحلق كالشوك والعلقم، لن يصل لها أي مرء إن لم يعاني الأمرين ولن يتعلم من النصائح إذا لم يخض التجارب بنفسه في معظم الأحيان، لقد حذرنا الكثيرون من الحب لأنه مارد كبير إما أن يخدمك وإما أن يهشّمك فمُجَارَته تحتاج إلى درجةٍ عاليةٍ من النضوج، ومع ذلك نأبى إلا أن نجاريه ونتحدها لنقع على رأسنا فنستيقظ من غيبوبة طويلة سببها لنا سراب وردي له رائحة مُخدرة تتشكل من قصص نسمعها ونقرأها عن الحب دون أن نعي أن معظمها قد حُبِكَ ونُسِجَ بهدف انتقام أولئك الذين كتبوها من الحب لكون هزمهم وصرعهم وصرع الكثير من الناس ..

أراه زهرة قرمزية شائكة ذات عبير طيب لا ينجو من الانجذاب لها إلا من كان تقياً يخاف الله أو ذا حظ تعيس، جرح هذه الزهرة رديء لا يلتئم حتى آخر نفس في الحياة ويبقى يئنزف ذكريات مؤلمة، فإن أحب المرء من جديد قد يأتي حبيبه ليضع يده على ذلك الجرح فيتوقف النزيف ولكن الجرح موجود لا يلتئم ... عميق في ظلمات الصدر في ذلك الخفاق في القلب وقد يزيد في عمق هذا الجرح إن لم يحصل الانسجام بين الطرفين.

ننتظر كثيرا لنحصل على الأشياء التي نتمناها ولو حصلنا على كل ما نتمناه لفقدت الأمنية معناها وجوهرها ولتوقفنا عن التمني ولأصبحت أحلامنا ممثلة بتجسيد الحرمان والجوع والحرب لتعويض جانب الصبر الذي كنا نصبره للحصول على ما نتمناه أو نحلم به، ولهذا نرى أن أعلى نسب انتحار تسجل في دول يتوفر لأبنائها كل ما يتمنوه دون عناء فأحبوا أن يتمنوا الموت لأنهم استنفذوا كل ما يمكن أن يتمناه المرء ولعدم وجود إيمان لديهم أو لعدم توفر أي رادع ديني لم يكن أمامهم خيار إلا طريق الانتحار.

بعد التخرج أخذت أم خالد تبحث له عن عروس تناسبه ليمضي في سنة الحياة فيتزوجها وينجب منها ما يقر عينه، الأولى كانت طموحة لدرجة أن طموحها كان يطغى على كل شيء فجعلت الدراسة أولوية لها وكانت أهم

عندها من زوجها ففترت منها، أما الثانية فتاة قمة في الأخلاق ومتقفة إلا أن إختها لم يكونوا متعلمين فخاف خالد من أن يكون لديهم أثر سلبي على أولاده إضافة إلى أن الفتاة كانت تشبه خالته فنفر منها، الثالثة كانت المثالية بالنسبة له وكانت بنت مفكر وإختها كلهم متعلمين وبشهادات عليا ولكن هذه المرة الرفض كان من طرفهم والخيرة فيما اختاره الله، والرابعة كانت الأخيرة وهي وسط في كل شيء مما كان يتمناه وخير الأمور أوسطها، تحققت أمنية خالد ووقع في الحب من جديد ولكن هذه المرة بالحلال، هذه المرة دخل البيت من بابه، فأراد أن يخلد تفاصيل هذه المغامرة فلم يجد إلا القلم والورقة جنودا أوفياء ومخلصين لهذه المهمة.

إن عملية تجسيد مرحلة من مراحل الحياة بأدق تفاصيلها .. بأفراحها وأتراحها وبإهمال الرتبة منها على ورق أخرس في حروف صماء أمر صعب كيف لا وقد نرى أشخاصا أمامنا لا نستطيع فهمهم ولا يستطيعون أن يصفوا لنا شعورهم وأحاسيسهم دون أن يكون هناك عوائق لغوية !!

هناك فرق كبير بين سمو الأحاسيس والمشاعر وبين طغيان الغرائز والأهواء، مفارقات كثيرة بين الحب الحرام والحب الحلال، هناك فرق كبير بين حب يُحاك نسيجه في السرّ وآخر في العلن، هناك فرق كبير بين حب مليء بالشبهات والحرمان وآخر يجلّله الوفاء والصفاء علاقات كثيرة سمعنا

بها أو رأيها من حولنا أو عايشناها ولكن على ماذا يجتمع أولئك المحبون بالحرام وإلى ماذا يتوصلون وإلى أين يصلون في نهاية المطاف؟

حينما كان خالد أيام الجامعة يبحث عن تجارب أصدقائه لم يعثر على شخص واحدًا خرج من تجربة حب محرم فيقول له بأنه استمتع أو أنه يود أن يعيد تجربته في أقرب وقت، فهذا أمضى خمس سنوات ثم تقطع قلبه لأن حبيبته قد أجبرها أبوها على الزواج من شخص ما والآخر انقلبت عنه حبيبته بعد ثلاث سنوات حب ولا يدري لماذا ولا تدري هي لماذا وكلاهما لم يتزوج وآخرون تزوجوا وما زال قلبهم معلقًا بمعشوقين متزوجين .. قصص تثير بعضها الاشمئزاز وإن أثارت بالبداية العواطف واستفزت المشاعر لتفاصيلها المأساوية ولكن كل هذا بالنهاية ضريبة الحرام الذي وقع الكثيرون فيه ظنًا منهم أنهم سيتزوجون من ذلك الشخص الذي أحبوه وهم لا يدرون أنهم يرمون بأنفسهم وأحببتهم إلى الهلاك لأن الزواج شيء لا يتحقق إلا بطرق الباب لا بالقفز من النافذة وكل العلاقات التي تنشأ من دون خطبة رسمية وعقد قران هي علاقات باطلة وإن حسنت النوايا حتى ولو كتب لبعضها التوفيق فإن هذا شواذ القاعدة التي تقول بأن التوفيق لن يكتب إلا لمن دخل البيت من بابيه.



-٦-

كان خالد منذ طفولته يتذمر من العادات والتقاليد وكأن كرهها قد زرع في جيناته وكانت جنته قبل أن يستقر قراره على فتاة معينة تحدثه بكثير من هذه العادات التي كانت بالنسبة له محض هرطقة وكلام فارغ فكان يسمعها ولكن لم يكن منصتا فيدخل كلامها من أذن ويخرج من أذن أخرى بعد أن يرد عليه في سريره ما يشفي غليله من جهل البشر في التمسك بهذه العادات والتقاليد ومن تلك الأقوال التي مرت على مسامعه من جدته وغيرها:

- "عليك أن تتزوج من عائلة أكابر"
- فيرد خالد في سريره: الله أكبر من كل كبير .
- "أحرص على التزوج من عائلة ذات حسب ونسب"
- فيرد خالد: لا أستلطف من يتفاخر بحسبه ونسبه أو بحسب ونسب زوجته ناهيك أن كل من لا حسب له أصبح ذا حسب في هذه الأيام ونصف العرب والمستعربة تنسب نفسها لغير نسبها بغية جاه أو مال، يقوي خالد حجته بالاستشهاد بقوله صلى الله عليه وسلم: "يا معشر قريش، اشترؤا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس ابن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا، ويا

فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم، سألني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئاً" رواه البخاري في صحيحه.

- "أحرص على أنت تتزوج ممن تقر عينك برؤيتها ولا تجعلك نظرك يزيغ عنها من شدة جمالها"

- فريد خالده: ما كل ما يلمع ذهباً، أو يستشهد بالمثل العامي "من برا رخام ومن جوا سخام" ^(١) أي من الخارج جميل يلمع كالرخام ولكنه من الداخل أسود وعلى كل حال لا أعتقد أن هناك رجل واحد يكره أن يكون لديه زوجة جميلة يُكْجَلُ عينيه بمرآها ويزيل عن كاهله عناء ومشقة اليوم كله بمجرد رؤية ابتسامتها وسماع تحاياها الرقيقة.

- "أظفر بذات الدين تربت يداك" ^٢

- يرد خالد بلهجته العامية قائلاً: "يسلم تمك وتم اللي قالها" وأنا على يقين أن وصية الرسول صلى الله عليها وسلم أبلغ الوصايا إلا أنني أتحسر على الشباب الذين يهتمون في ألا تكون زوجتهم متدنية.

تلك القصة تدق في ذاكرة خالد باستمرار كالناقوس وهي لفظة تقول: يا

^١ كالسواد الذي يصدر من المداخل

^٢ والظفر باللغة هو الفوز وبعمامة الكلام أي قم بالبحث عنها والزواج منها، أما تربت يداك فكان يقول العرب ترب الرجل وتعني أن الرجل أصبح فقيراً وليس في هذا دعاء على من لم يتزوج من المتدنية كما يظن البعض ولكن معظم من شرحوا الحديث قالوا أنه قال ذلك صلى الله عليه وسلم ليحث على الزواج من المتدنية.

أبت إني لا أحل لك ولا أقبل لك أن تُطعمني من حرام. فقال: يا بني،
أرأيت إن لم أجد إلا حراماً؟ فقالت: يا أبت.. أقدر على الجوع في الدنيا
ولا أقدر على النار في الآخرة.

وقصة زوجة صحابي هي الأخرى كانت تقول لزوجها كل يوم عند خروجه
إلى العمل: "اتق الله في وفي عيالك، فإننا نَصْبِر على الجوع ولا نصْبِر على
النار"

قد لا يستطيع خالد أن ينكر أن الدافع الأول للزواج بين معشر الشباب هو
الجنس ولكنهم يطلقون عليه أسماء أخرى كالعفاف والسترة ولكن هذا لا يعني
أن الرجل يتزوج فقط لأجل الجنس وإنما هو أحد الأسباب وإن العملية
الجنسية الحاصلة بين الرجل والمرأة ليست عملية إشباع للغرائز أو الشهوات
فحسب أو لإنجاب الأطفال والمحافظة على النسل بل هي أوسع من ذلك
بكثير، حتى فرويد ذاك العالم اليهودي كانت نظريته ضيقة فيما يخص الحب
والجنس حيث أنه يرى أن الجنس غاية والحب وسيلة للوصول إليه وكل هذه
الأشعار والرسائل والكلمات الجميلة التي يطلقها الذكر ما هي إلا وسائل
للوصول للجنس وهو يرى أن الحب وهم لا وجود له، ولكني خالد كان يرى
عكس ذلك تماماً، كان يرى أن الحب غاية يسعى إليها كل ذكر وأنثى ليحقق
القطرة الربانية أن جعلهم الله أزواجاً على هذه الأرض منذ أن بدأ الخلق فيها
ومن ثم يرى أن الجنس وسيلة للتعبير عن هذا الحب فإن كان الزواج وسيلة

لأجل الجنس فقط بحسب نظرة فرويد فهذا يعني أن الرجل سيطلق زوجته بعد شهرين لأنه سيشعر بالملل منها ومن وجهها ومن جسدها وسيرغب أن يُغيّر، إن الأزواج المتحابين عندما يمارسون الجنس لا تكون غايتهم إلا إرضاء الطرف الآخر بغض النظر عن إرضاء أنفسهم وهذا ما ما يفسر مصطلح ممارسة الحب، فكلما ارتفعت درجات الانسجام بين الزوجين ارتفعت معها درجات الحب إذ لا يغادر أحدهم النشاط الجنسي حتى يتأكد أن شريكه قد أشبع شهوته وهذا شيء أمرتنا به السنة المطهرة في تعاليمها، فما الظنُّ بشخص يقول أنه يشعر بالملل من زوجته ومن ممارسة الجنس معها!! إلا أنه لا يحبها وأنه لا يمنعه من طلاقها إلا عادات أو تقاليد أو وجود أولاد عندهم^(٣).

مَنْ مِنَ الشباب لا يتمنى أن يلتقي بفتاة أحلامه ليشاطرها حياته بكل تفاصيلها، بنهارها وليلها، بحلّوها ومُرّها ولينجب منها ولدًا يكن له فخر وسند عند الكبر ومَنْ مِنَ الفتيات لا تتمنى أن تلتقي بفارس أحلامها الذي سيضمها ويحنو عليها ويمسح دمعها ويحميها من هبة الريح .. وَمَنْ مِنَّا لا يود أن

^٣ يتطرق ابن حزم إلى هذه القضية حينما يقول: إن النفس إذا ميزت في المحبوب

شطرها الذي تبحث عنه ثبتت فيه، أما إذا لم تميز فيه هذا الشطر فإن حبها لا

يتجاوز الصورة الجسدية وهو حينئذ يكون حب لذة ومتاع، وهو ليس الحب السامي

المصفى الذي تجد فيه النفس كمالها المنشود وإنما هو الحب الجسدي الذي تنقاد فيه

لداع غامض يصدر عن غرائزها.

يودعه أحد وهو متوجه إلى عمله بقبلة وابتسامة وكلمة رقيقة ويستقبله بمثلها
لينسيه عناء وجهد اليوم كله؟

ألا يفكر الواحد منا كل يوم بالفتاة التي ستشاركه حياته والتي ستكون له
سكنناً؟ الزوج والزوجة لبعضهم بمثابة البطانية التي يلتف حولها من يشعر
بالبرد فيشدها من كل طرف ويتعلق بها حتى ينعم ببعض الدفء .. أليست
هذه الحياة التي يتمناها كل فرد؟ على الأقل كانت هذه أمنية خالد منذ
سنوات، وعندما أحس أنه يعيشها وجد نفسه يخط أجمل لحظاتها.

بدأت خالد بتوثيق قصة حبه (الحلال) برحلة الخطبة وتحديدًا بعد أن
استطابت نفسه إحدى الفتيات من الزيارة الأولى واستغرب بينه وبين نفسه أنه
كان يحتفظ بأوراق التقويم "الروزنامة" حينما كان يزور هذه الفتاة ويكتب
خلفها المناسبة وكأن حاسته السادسة توحى له بأن هذه الفتاة ستكون له "من
نصيبي" فخلد هذه الذكريات الجميلة بقطفه لأوراق التقويم والكتابة خلفها
ويدون تفاصيل أخرى في مفكرات ليعود إليها بين الفينة والفينة ليجدد حبه
وليعيده شاباً بعد أن شاب، فلعل هذه المدونات تقع في يديه بعد أربعين سنة
حينما يكون رأسه قد امتلئ بالشيب ويكون بيته قد امتلئ بالأولاد والأحفاد
فيعود ليعيش التجربة ويعيش تفاصيلها من خلال قراءتها.

للأسف لقد اختار الكثيرون طرقا ملتوية لبناء علاقة لا شك في أنها غريزية وكانت النساء في معظم الأحيان ضحية بسبب عواطفها وبسبب انخداعها بوعود وكلام فارغ من شباب بل ذئاب إما أن الشيطان أغواهم أو أنهم لا يخافون الله ولا يخافون على أعراضهم، كان لخالد بعض الصديقات في عالم الانترنت والذي جند نفسه لهن كأخ كبير وكان دوما يحذرهم من هذه النوعية من الشباب ويطلب منهم أن يكونوا على ثقة تامة بأن الشباب عندما لا يأتون إليهم من باب بيتهم أمام إخوتهم وأهلهم فهم لا يريدون بهن خيرا حتى ولو ادعوا أنهم يريدون أن يعلموهن الدين والقرآن، فالمحب وإن كان يعد بالزواج وحتى لو كان صادقا بنيته عازما بخطوته فالأحوط أن لا تترك له مجالا إلا باب البيت، يأتي ويطلب يدكن من أهلكن على سنة الله ورسوله.

لقد اختار الكثيرون الحب الحرام عن الحب الحلال لأنهم لم يدقوا طعمه وفضلوا أن يسمعوا تجارب أصحاب الحب الحرام ولكنهم لو سمعوا من أصحاب الحب الحلال تجاربهم لما وقعوا في شرك ذلك الحب الدنيء إلا أن المنحلين أخلاقياً يروجون لفكرة التعرف على الجنس الآخر بطرق غير شرعية بهدف اكتساب الخبرات كما يدعي أصحاب تلك الحملات الخبيثة ويروجون أيضا إلى أن أولئك المنطوون على أنفسهم والذين يبتغون العفاف بالطرق الشرعية سيفشلون فشلا ذريعا في علاقاتهم بسبب عدم معرفتهم بطبيعة وفسولوجية الجنس الآخر وهذا كله كلام باطل وفارغ، فكيف لأبونا

آدم أن يتآلف مع حواء ويكونا معا سببا من أسباب وجود هذه البشرية جمعاء دون أن يكون لأي منهم أي تجارب سابقة وماذا ترك أصحاب الخبرة الآثمون الذين يجاهرون بأنهم زنوا عشرات المرات قبل الزواج مدعين أنهم يحاولون اكتساب الخبرة .. ماذا تركوا من الذكريات الجميلة حينما يحاول كل طرف إرضاء الآخر دون أن يدري كيف؟ فيرتكب ويتلثم ويضطرب ويخجل ومن ثم ينكسر الخجل فيخبر شريكه أن افعل كذا ولا تفعل كذا وهكذا تؤلمني و هكذا تزعجني ويحتاج كل منهم إلى وقت الله أعلم به حتى يفهم كل منهم جسد الآخر وينجح في جعله يستمتع وأخيرا ينجح في أن يستمتع كلاهما ويصلان إلى ذروة الاستمتاع ببعضهم البعض ((بالحلال)) ماذا تركوا؟ **هذه الأحاديث والنقاشات كانت تشغل خالد وأصدقائه في مجالسهم وخصوصا أن عملية ارتباطهم وزواجهم كانت متزامنة تقريبا** وكانت فكرة الرد على أصحاب نظرية "العلاقات تجارب" وقد رد خالد على أحد متبني هذه النظرية ردا مفحما قائلا له: "إن لكل إنسان شخصيته وطبائعه الخاصة فإن بنيت بعض الطرق للتعامل مع المرأة من خلال علاقة غير شرعية فليس بالضرورة أن تنطبق أساليبك مع امرأة ثانية وثالثة وها نحن الأخوة نعيش في بيت واحد وكل منا له بصماته الخاصة وكل منا يتم التعامل معه بطرق خاصة، بالنهاية لك الخيار إما أن تضع بصمتك بدائرة الأحوال لتستلم هويتك أو أن تضعها في قسم الشرطة بسبب سرقتك لحلال غيرك!! (حلال أو حرام) ولا يوجد منطقة رمادية بينهم".



-٧-

كثير من أصدقاء خالد كان ينبذ الزواج التقليدي، ويتبجح الكثيرون بأن الأهل لا يعرفون ماذا يريد أبناءهم قائلين أننا نختلف مع أهلنا في كثير من الأمور فكيف سننقق في اختيار شريك الحياة متناسين أن الاختلاف سُنَّة كونية ومطالبين بأنهم يريدون أن يتعرفوا على الفتاة ويحبُّوها ويعرفوها جيدا ومن ثم يتزوجوها، وأنا لا أرمي أصحاب هذا المذهب على أنهم فُجَّار ولكني أحذر من المخاطر التي قد تتجم عن إيجاد الزوجة المستقبلية بشكل شخصي والتعرف عليها والتحدث لها من دون أن يكون هناك أي رابط شرعي بينهم، وأبسط تلك المصائب التي قد تحدث هي أن يواجه أحد العروسين الرِّفْض من أهلهم على عقد الزواج لسبب من الأسباب وها هنا تجد الكثيرون قد قدموا قلبهم النازف قريانا للشيطان الذي أشبعهم وسوسةً قبل أن يقعوا في شرك الحب المزيف، وللأسف لا يستوعب الأغلبية هذا إلا بعد أن يُلدغوا لدغة شبه قاتلة ترد لهم وعيهم أو تجعلهم يقعوا في دوامة من هذه العلاقات الغوغائية اللامنتهية وقد نصح خالد بعضا من أصدقائه كثيرا ولكن لم يستمع له أحد، تماما كما يقول الشاعر:

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

لقد كانت أمك تفهمك منذ أن كنت طفلاً رضيع لا تعرف أن تعبر عن أي شيء إلا بالبكاء، كانت أمك في ذلك الوقت ولا زالت لا تتمنى لك إلا كل الخير فهل تعتقد بأنها ستختار لك الفتاة التي تجلب لك الشقاء؟! بالطبع لا، إن جلست في يوم ما في نقاش ودي بينك وبين والدتك وسألتها عن الجوانب التي تركز عليها عندما ترى فتاة ما، ستجد أن أفقك ضيق جداً وأن تفكيرك كان محصوراً في أشياء معينة فقط وكل ذلك لفارق الخبرات والعمر بينك وبين والدتك.

تذكر خالد صديقاً له كان سيتزوج قريباً فذهب وإياه إلى المكتبة ليشترى لخطيبته بعض الكتب وعندما وصلنا إلى قسم كتب الزواج سألتني أي الكتب تتصحنى بشراءه وكنت قد قرأت اثنتان منهم فنصحته بهم فقال لي هل يوجد كتاب يوضح حقوق الزوج فقط ولا يوضح حقوق الزوجة، فهم خالد مقصده وقال له ما هذه الازدواجية هل تريدها أن تلبي حقوقك ولا تريد أن تلبي حقوقها!! هكذا كان خالد يتصادم كثيراً مع هذه النوعيات بشكل مستمر فمجمعاتنا مريضة لا تريد أن تعالج أمراضها ولا تريد حتى أن تعترف بها.

المُستزوج: كان لقبا يطلق بعض أصحاب خالد عليه منذ صفوف الدراسة بالجامعة لأن الزَّواج كان الموضوعَ الرئيس من ضمن المواضيع التي تطرح في مجالس الحوار التي كان يشارك بها وكان أصدقائه ينتبهون إليه كيف يبتهج حينما يذكر أحد من الشباب هذا الموضوع فأطلقوا على خالد هذا

اللقب ووصل بأصدقاء خالد الأمر في بعض الأحيان أن يترجوه لكيلا يفتح معهم هذا الموضوع مجددا لكثرة ما سمعوه منه لدرجة الملل فيبرر لهم تكرار فتح نفس الموضوع بأنه لا يفتحه معهم إلا لكي يحمسهم لكي يدخلوا معترك الحياة بسرعة أكبر ويبدووا بالتجهيز لتلك الحياة الجميلة مع الزوجة الصالحة.

حينما كان خالد يخفي أوراق التقييم التي كان يقطعها في كل مناسبة، كان يحنط ذكراها في ملف صغير يعلوه الغبار، اعتاد أن يخفي بين دفتيه بعض المذكرات والذكريات ف وقعت في يده خاطرة يتيمة أصفرت جوانبها وتشققت من العمر الذي أمضته في هذا الملف وهذه الخاطرة تعزز من استحقاق خالد للقب المستزوج وكانت بعنوان: "مجرد حلم" وكان نصها:

"في ليلة سوداء، من ليالي الشتاء ..

الوقت متأخرا ويفترض بأنني نائم، هل أنا بحلم أم في وهم؟
أبقى مع حلمي وحيدا أفكر وأنا أحد أبطاله، أتمنى أن تقترب تلك اللحظات، لحظات تحقيق حلم أخذ من تفكيري سنوات، آلاف من الكلمات للتعبير عن مقدمات بدأت ببعضها و انتهيت، والأخرى أكتب بها في هذه اللحظات وبعضها الآخر ما زال على رفوف عقلي كالمعاملات ..
تتدافع عبراتي ولا أريد البوح بها لأحد، أتصارع مع الزمن مع نفسي مع

قلبي .. فقط لأجد شخصا يشاركني نفس الحلم.. لأشاركه بقية حياتي .
تحدثت بحلمي للكثير بدون أن أقول لهم أنه حلمي الأهم، لألقى ردودًا
فاجأتني!

حتى هذه اللحظة لم أجد أحدًا من جنسي يشاركني نفس الحلم ولكني أعتقد
بأن هناك أحدًا من الجنس الآخر يشاركني إياه وهو مجرد حلم.
كل شخص بهذه الحياة يملك بصمة تميزه عن غيره ولكن قد يولد اثنان
بنفس

الوقت يمضي بسرعة مخيفة.

أحاول أن أنهي باقي المقدمات لأبدأ بكتابة حلم يتحقق في عدة كتيبات
أخاف من النهايات ولست أنا من سيكتبها !! سيكتبها .. إنها إحدى الفتيات.
مكسور خاطر - الرابعة فجرًا أبريل - ٢٠٠٦ " انتهت الخاطرة"

ملاحظة من المؤلف:

"ما تبقى من الرواية هي تلك المدونات التي كتبها خالد بجانب ورقات
التقويم، وهي مكتوبة بصيغة الأنا" فوجب التنبيه



"الورقة الأولى" قطفتها بعد أول زيارة، قراري بالاحتفاظ بالتواريخ وهذه الأوراق من التقويم لن تكون لأي حدث فحسب بل لأهم الأحداث في تاريخ حياتي الشخصي وأما الأحداث الأخرى فتدون كذكريات يحن لها المرء، وهذه اللحظات التي تستحق التخليد مثل أول مرة بُحت لها بالحب وأول مرة لمست يدها وأول مرة قبلتها وهكذا وللأوائل دائماً تميز خاص في كل شيء تدعوا المرء لتخليدها في كتاب ذكرياته.

تملّكني في ذلك اليوم شعورٌ غريب من الرّهبة وكأني أريد أن أُلقي خطاباً على جمع غفير من الناس، ويومها وقبل أن نظرق باب بيتهم بدأت بقراءة المعوذات وآية الكرسي وسألت الله التّيسير وكنت قد استخرت قبل هذه الزيارة ثلاثة مرات في أمل أن يكتب الله لي الخير ..

دخلت لأجد الأب يستقبلني ولا أدري لماذا قبلته وكأني أعرفه من قبل ودخلنا إلى الصّالة وأخذنا بتبادل الأحاديث عن حياتي وعملي ودراستي ونشاطاتي حتى دخلت علينا زوجتي تقى تحمل بين يديها الناعمتين فنجاني قهوة تركية

لتضيفنا إياهم ولكنها فاجأتني إذا لم أشعر بدخولها ولم أشعر بها إلا بجانبني واقفة تقول لي تفضل، لأنني كنت أنوي الوقوف كي أرى طولها فلم يتسنى لي بعد أن رأيتهما بجانبني فأخذت الفنجان وقلت كما يقول السوريون بالعامية: (الله يسلم هالأيدين) تعبيراً عن شكري وامتناني.

ولشرب القهوة مدلولات غريبة عندنا فإن ترك الرجل الفنجان ولم يشرب منه شيئاً فهذا يعني أن الفتاة لم تعجبه، وإن شربه لآخره فهذا يعني أن هناك شيئاً ما خاطئ، قالوا أنه يجب أن يشرب جزءاً منه، ولكني لا أؤمن بهذه الخزعبلات وأحب أن أكسر كل الأعراف التي لم ينزل الله بها من سلطان والتي لا تمت للدين بصله وأنا متأكد بأنني لم أنجح في كسرها كلها ولكني على الأقل قد أصنع تياراً معاكساً يحارب العادات والتقاليد الرتيبة والمملة وما فعلته أنني لم أقصر في شرب الفنجان حتى آخر قطرة فيه.

تذكرت في هذه اللحظات قوله صلى الله عليه وسلم: (من ترك شيئاً لله، عوضه الله خيراً منه) ^(٤)، وكأني بمرآها نسيت كل ألم الحب الوهمي الأول وكأنهما بحجم جبل قاسيون ^(٥) انزاح عن قلبي، لقد تركت الطرق العوجاء في بناء علاقاتي مع الجنس الآخر فوهبني الله بمن تقتل استوحاشي وتؤنسني فالحمد لله على هذه الهبة.

^٤ صحيح الإسناد بحكم المحدث ناصر الدين الألباني
^٥ جبل كبير يزين مدينة دمشق ويظهر لزاثيرها قبل أن يصل إليها من ضخامته.

جلست تقى مواجهة لي على بعد مترين تقريبا فأخذت روعي تحلق في خلقها البديع وكنت أنظر بحدود الشرع إليها ووقعت في قلبي من الدقائق الأولى وأيضا شعرت بأني أعرفها من قبل وإن صح القول إن أرواحنا تألفت ولا أدري في تلك اللحظات إن كانت تبادلني نفس الشعور أم لا!!

في بداية الأمر ارتبكت لأنني في زيارتي الماضية بهدف الخطوبة كنت قد تعودت وكانت يغلب على عادتنا في دمشق أن تجلس الأم وأمي والفتاة في المجلس، ولكن هذه المرة جلست مع الأب وكانت الأمهات في الداخل!! كان الشعور غريبا وقلت لهم أنني مرتبك قليلا بسبب انكسار العادة ولكن هذه الرهبة ذهبت بسرعة وكنت بنفس الوقت مسرورا لكون النساء في مجلس والرجال في مجلس آخر.

بدأت أسألها عن حالها وعن مدرستها وعن هواياتها وعن طموحها بعد إنهاء المرحلة الثانوية وعن رؤيتها للزواج وعن نقاط ضعفها وقوتها وكانت حماها الله تخجل من كل سؤال ويساعدها والدها أحيانا بالإجابة وكانت الأسئلة ثقيلة عليها حتى بادلني والدها بمزحة يقول لي فيها تكاد تخرج لنا استبتيانا وتقوم بمقابلة معها وتعالى الضحكات في هذه اللحظة، وأذكر أن عمي سألني سؤالا مهماً يحاول دسّ النُبض من خلاله لكي يعرف إن كنت عاقداً على الزواج لأجل تجربته فقط أم أنني أعرف فعلا ما هو الزواج و تبعاته

ومسؤولياته فقال لي ببساطة كيف ترى الزواج؟ فقلت له: أني أرى الزواج كشركة يقوم على إدارتها اثنان فقط ليس لديهم أي موظفين وبين هذان الاثنان حبل يشده أحدهم والآخر يرخيه ومن ثم يشده الذي كان يرخيه فيرخيه الذي كان يشده وبعد فترة تكبر هذه الشركة ويرزقهم الله بموظفين (أطفال) وهنا تتسع المسؤوليات وتتوزع المهام وتكبر هذه الشركة وتتجح بالحب والتفاهم والتفهم، وأعتقد أن تحليلي هذا قد أعجبه.

بالنسبة لتجهيز الأسئلة وأخذ النصح عما يجب أن يحدث في هذه الزيارة فهذه نصيحة لكم معشر الشباب .. لا تحضّروا شيئاً من الأسئلة أو الحوارات لأنكم بمجرد جلوسكم أمام الفتاة سيطير كل شيء من رؤوسكم، اتركوها على التيسير وقد حدث هذا لي شخصيا في أحد تجارب خطبتي حيث أني نسيت كل الأسئلة التي كنت قد هيئتها لأسألها للفتاة وأضعت وقتي في محاولة تذكر تلك الأسئلة، وخذوا المشورة فيما لا يجب أن يقال في الجلسة الأولى فمن غير اللائق مثلا أن تقول للفتاة من الجلسة الأولى: اسمعي يا فتاة أنا أحب النقاب فإن كنت لا تضعيه فيجب عليك أن تضعيه .. ستتفر الفتاة منك لأنك أولا غريب أتيت تأمرها من أول زيارة وبكل بساطة ستقول لأهلها لا أريده فأبي لم يأمرني بهذه الطريقة.

وهنا أتذكر قول القدماء أن اللقاء بين الشاب والفتاة كالكيمياء فبمجرد رؤيتك لها قد تتفاعل كيمياء جسدك وكيمياء جسدها فيما أن تكون نتيجة الالتقاء انسجام أو تنافر، كالأقطاب المغناطيسية فمن المستحيل أن يجذب القطبين السالبين أو الموجبين لبعضهم.

بنهاية الزيارة تجد نفسك تقول: لم تدخل الفتاة إلى قلبي أو تجد نفسك تقول لقد أعجبتني كثيرا وفي بعض الأحيان يتردد الشخص فيطلب رؤيتها مرة أخرى ولهذا أحل الشرع أكثر من زيارة وفي السنة النبوية أن يطلب رؤيتها بحدود الشرع حتى يجده ما يدعوه إلى نكاحها من خلق أو خلق.

والحمد لله خرجت من بيتهم لا تفارق مهجتي الابتسامة وقالت لي أُمي ونحن في طريقنا للمنزل: بِشِّرْ؟ فقلت لها: أُمي قلبي منشرج لها ولأهلها. فقلت لي أُمي: دعنا نرى ما رأيهم وأسأل الله أن يتم لك على خير؟

وفي اليوم الذي يليه مباشرة جئت لأُمي مُكِرِّ مُفِرِّ في غاية الحماس وسألتها هل تحدثت مع أهلها؟ فقلت لي: صبراً يا أُمي .. بالعادة يتصل الشخص بعد أسبوع، فقلت لها تبا للعادة كم تأسرنا، أرجو أن تكلمهم غدا فوافقتني والذي الرأي بعد أن أخذنا برأيه وكلمتها أُمي في اليوم التالي وكان الرد إيجابياً إذ أن الفتاة ارتاحت لي أيضا وانشرح صدرها وطلب الأهل مهلة لكي يسألوا عني بين معارفهم ومعارفي، وهكذا تجري عادة معظم العرب في

السؤال عن العريس وكذلك أهل العريس يسألون عن العروس أم من لا يكلف نفسه عناء السؤال ويكتفي باسم العائلة أو المظاهر فيا حسرته إن تبين له بعد عقد النكاح عكس ما كان يتخيله أو يظنه، بعد فترة أسبوع تقريبا عادوا لنا بالأخبار السارة ..

لقد سألنا عن ابنكم ولم نسمع عنه إلا كل خير، وسألونا إن كنا نريد أن نراها مرة أخرى قبل مجيء والدي من السفر، فقلت لأمي: لقد أعجبتني من المرة الأولى ولا أرى من داع لرؤيتها مرة ثانية، فلننتظر والدي لكي نذهب إليهم ونقرأ الفاتحة.



الخطبة هي مرحلة تُحوّل الرجل بأن ينظر لمن يريد أن يخطبها ضمن حدود شرعية معينة ليلتمس فيها بعض الجوانب ليقدر هل يمضي بقية حياته معها أم لا؟

وهنا أنقل جملة من مقال لصديقي المفكر عزّام حدبا يقول فيها: "إن التجاذب بين الأضداد قانون فيزيائي، مثل المغنطيس، حيث نجد أنفسنا منجذبين إلى أصدادنا. فكيف نشعر برجولتنا إذا لم نشعر بأنوثة الحبيبة؟ وكيف نشعر اليد بالدفع إن لم تكن باردة؟ وكيف نشعر بالرقّة إن لم نكن خشنين" .. انتهى كلامه.

الورقة الثانية من "التقويم" والتي احتفظت بها، حينما ذهبت إليهم بصحبة أمي ووالدي بقصد أن يتعرف والدي عليهم وبنية قراءة الفاتحة، وقراءة الفاتحة تعني أن الشخص يعلن قبول تخطيب ابنته على المتقدم لها مستفتحاً بفاتحة الكتاب وعلى نية التوفيق تُقرأ الفاتحة كعلامة قبول أولية، ومن ثم لاحقاً يتم

الاهتمام بالأشياء الأخرى كتلبس الخواتم "التي لا مكان لها في الشرع الإسلامي وإنما هي فقط عادة متوارثة" والتحدث بالمهر وعقد النكاح الشرعي (كتب الكتاب كما نسميه في سوريا) .. إلخ.

الخطبة أيام وردية يعيشها كل من الطرفين بحسٍ مُرهَفٍ يَنسِجُ كُلَّ مِنْهَما أحلامه بخيوط الأمل الرقيقة ليصنعوا ثوبا يرفرف من أدنى نسمة لا يَلْبِثُ كثيراً فيتمزق أثناء مجابهة رياح الواقع القوية.

وصل والدي من السفر عشية يوم الاثنين الماضي وذهبت لأخذه من المطار وكُنْتُ أمارح أُمِّي أن يا أُمِّي لما لا نذهب من المطار إليهم مباشرةً لقراءة الفاتحة، وأُمِّي تقول لي: استحي وتقول بالعامية "لاجِقْ" أي لا تتعجل فغدا تحظى بما تروم إليه.

خططت مع الوالد ونسقت معهم كي نزورهم ليلة الخميس القادم، وجاء يوم الخميس بسرعة .. استقبلنا الأب والأم وقَبِلَتْ الأب بحرارة بعد أن منحني شرف المجيء للمرة الثانية، دخلنا الصالة وبدأنا نتبادل أطراف الحديث وكان جُلَّ الحديث قد دار بين أبي وأبوها لأنهم كانوا يتعارفوا على بعضهم للمرة الأولى، دخلت الفتاة تضيفنا عصير البرتقال عيناها تلازم الأرض فأخجلني خجلها أن أطيل النظر بها لأضع عياني أنا الآخر بالأرض، حاولت أن أتحدث معها ولكن لساني انعقد وبعد انكسار الحاجز تحدثنا عن دراستها

ولماذا اختارت القسم الأدبي لاكتشف منها ضعفها في مادة الرياضيات ليكون هذا الرابط المشترك الأول بيننا وتحدثنا عن أسباب فشلنا في هذه المادة وذكرت لها أن هناك أستاذا في المرحلة الابتدائية كان يحملني من أذاني لأنني لم أتعن جدول الضرب وهداه الله فأنا حتى الآن أواجه مشاكلًا بجدول الضرب وقد رسبت في مادة التفاضل والتكامل في جامعتي أربعة مرات، ومن ثم أخذنا بتبادل بعض القصص والنظرات والابتسامات.

أوماً أبي بإشارة لي كان قد اتفق فيما بيني وبينه أن يقوم بها ليسألني من خلالها إن كنت متيقناً أم لا من طلبنا ليد الفتاة فأومأت له بأخرى أنني متيقنٌ جداً، فبدأ بارتباك يطرح بعض الكلمات التي تعني بمختصرها أننا نود أن نطلب يد ابنتكم لابننا ومعذور على ارتبأكه فأنا ابنه البكر وهذا الدور في مسلسل السنة الكونية يقوم به لأول مرة ومن الطبيعي أن يرتبك مهما كان مخضرمًا في أدوار الحياة الأخرى، في هذه اللحظات ارتبكت حواسي وارتعدت مفاصلي وتجمد الدم في عروقي واحمرت وجنتاي ودمعت عينايا وكأني أنا الفتاة، حدث معها نفس الشيء إن لم يكن أكثر، واكتفى والد الفتاة بجملة ملئت قلبي فرحا وسرورا ..

قال: نحن لنا الشرف، وهنا ارتسمت على وجهي ابتسامة كادت أن تصل إلى أذنايا، حاولت أُمي أن تعرف مَاسَ إصبع الفتاة بأن طلبت منها أن تعطيها

خاتمها وخيرتها هل تريدان الذهاب مع خطيبك لاختيار الخاتم فلم ترد خجلاً فخلعت أمي خاتمها وقالت لها ضعيه في إصبعك لنرى ما إذا كان مناسباً أم لا، ولمحاسن الصُدف كان حجم إصبع أمي مساوٍ لحجم اصبعها .. ولكن وبعد فترة نصحتني أحد الأصدقاء بأن أجعلها تذهب معي لاختياره رغم أنني بشكل أو بآخر أو من أن أدواقنا لن تختلف لأنني اخترتها أولاً واختارتي فهناك تشابه إلى حد التطابق بين ذوقي وذوقها بشكل أو بآخر.

نعود لتلك الليلة التي أردنا أن نقرأ بها الفاتحة دخلنا دارهم في الساعة التاسعة والنصف ولم نخرج حتى الواحدة مساءً إذ أخذتنا الأحاديث حتى نسينا أن نقرأ الفاتحة ولعلنا نقرأها يوم تلبس الخواتم وكان الحدث الأهم في ذلك اليوم أنني قبل مغادرتنا طلبت رقم هاتف الفتاة بعد أذن الأب وتحدثنا في ذلك اليوم على الانترنت وتبادلنا الرسائل النصية وبقا كل منا سهرانا حتى آذان الفجر.

كان أجمل تفاعل بالرسائل النصية القصيرة التي دارت بيننا حينها:
- قالت لي: لا أدري لماذا لا أستطيع أن أستوعب ما الذي يجري و ما الذي سيجري .. أحس أنني في حلم.

- فقلت: حلم جميل، أتمنى أن أبقى نائماً للأبد لأنني وجدت من يستحق أن أحلم به.

- فقالت: أرجو من الله أن أكون عند حسن ظنك.

- فرددت قائلاً: وأنا بالمثل وأسأل العلي القدير أن يجعلنا نتبادل خير ما جبلنا عليه و يكفيننا شر ما جبلنا عليه، لم أختَر أهلي ومع ذلك أحببتهم، فكيف سيكون شعوري لمن اخترت؟

- فردت بحكمة مكتفية بالتأمين على الشطر الأول من الرسالة مكتفية بـ:
أمين.

لقد تبادلنا مئات الرسائل النصية لدرجة أنه كل ما رن هاتفي بنغمة الرسالة أقول هي فأركض إليه متلهفا لأرى ما يخبئ لي وكثيرا ما انزعجت من مزود الاتصالات بسبب الرسائل الإعلانية أو الشركات التي ترسل لك بعض المسابقات وقلت لو أنهم على علم بما أنا فيه لما قاطعوني بتلك الرسائل الغبية وفعلوا فغالبا البريد الوارد والصادر كان يحمل اسمها.

حالي كحال أصدقائي الذين تعالت مستحققاتهم فواتيرهم الشهرية لدى مشغل الاتصالات فقطعوا عنهم الخدمة لأنهم لم يدفعوا الفواتير المستحقة فتجد أصدقائي يتصلون ليترجوا موظف خدمة العملاء كي يفتح لهم الهاتف حتى أول الشهر فقط وكم أكره هذه الحالة "أن تنتظر أول الشهر" وهذا يعني بالتأكيد بأنه لا يملك المال الكافي حاليا ليتمكن من دفع الفاتورة فينتظر أول الشهر كي يدفع من مرتبه ونفس الأمر والتهديدات أسمع من هؤلاء الأصدقاء حين يقولون لو كان مشغل الاتصالات على علم بما نحن فيه الآن لما عكر

علينا صفوة عيشنا بقطع الاتصال، وهذه كلها ذكريات ستكون مضحكة في المستقبل فلو أصبح لدى كل شخص منا غداً شركته الخاصة فلن يستقبل المحبين والعشاق بصدورٍ رحب ولن نعطي موظفينا العاشقين ساعات عملٍ أقل وسيكون شعارنا لن نُحب ونُعشَقَ على حسابي ..

في يوم من الأيام احتفظت ببعض الرسائل على ورقة وكان النقاش ببداية مني:

- قلت لها: أحببت عينيك وابتسامتك وأخلاقك وخجلك وأناملك وطولك ودينك وصوتك فهل تبقى غير أن أقول أحبك؟ فانتظريني قليلا حتى أستاذن قلبي.

- فقالت: أنا أشهد إن الغلا والشوق فضّاح لا صار من تغليه بالود يغليك" ويبدو لي بأنها رسالة جاهزة مسبقة الإعداد من شخص ما"

- فقلت: صح لسانك والله فضّاح وتتنطق الجوارح والعيون بما لا ينطق به اللسان.

- ثم قلت أيضا: ألم أقل لكي بالأمس أنني عندما رأيته أول مرة أحسست وكأنني أعرفك والآن تذكرت أنه بنصف كل شهر نورك يملأ السماء يا أحلى بدر.

- فقالت: ماذا أبقيت لي وقد أخذت كل ما في الكلام من حلاوة.

- فقلت: النكهات كثيرة فلا تحزني وانثري الأحاسيس حروفا على فوادي الولهان ومسمعي.

- فقالت: بحثت وبحثت ونثرت الدمع فلم أجد سوى أن المحبة المتبادلة هي تاج السعادة.

- فقلت: خطيبتني هونا علي هل ذهب الكلام يا ثريا؟

- فقالت: عجزت عن الكلام

- فقلت: قد تكفي كلمة عن ألف كلمة وهي أجمل كلمة بالقاموس كلها:
أحبك

- ثم قلت بعد أن طال انتظاري: هل أثقلت عليك ببوحي؟

- فقالت: لا ولن تثقل علي بأي شيء.

- ثم قلت: ما أصعب الانتظار .. هل ستسري خاطري ببعض الأشعار أم
ستتركني لأتسامر مع الأشجار؟

- فقالت: إن لم يكن قلبي قد أحبك فأنا في الله قد أحبتك فكيف بالاثنتين معا
والله أكبر شاهد على أنني أحبك.

- فختمت بطمع أقول: بعد فترة اسمحي لي أن أسمعها من فمك؟ في ذلك
اليوم لم أنم إلا بعد صلاة الفجر وفي اليوم الذي تلاه استيقظت في الساعة
الثانية فجراً وهرب النوم من النافذة ولم يعد وأنا أفكر وأتقلب على الفراش
وكأن كيمياء جسدي قد اضطربت من هذه التغيرات التي ستطرأ على حياتي
ولا أدري متى ستترن كيمياء جسدي من جديد ليعود لي نومي بعد أن هرب،
ويبدوا أنني سأنسى النوم حتى أكون أن وهي في بيت واحد يملئه الحب
والحنان وهنا يمكن لكيمياء الجسدين أن تندمج لتصبح واحدة ويجد الضلع

الذي خلقت منه حواء ضالّته حينما يضمها آدم إلى صدره، وأنا لا أتخيل في ذكرى لهذا وإنما أتذكر اكتشافاً طبيّاً كان يُنصُّ على أن المتزوجين ترتفع لديهم المناعة ضد الأمراض ويتشاركوا في كثير من الأشياء منها الذاكرة وقد تتدهش عندما تجد أن شريكك قد استبق فعل ما تريده قبل أن تطلبه أو سبقك في نطق ما كنت تريد نطقه كما لو انه يقرأ أفكارك وعيونك وما هذا إلا من الانسجام وكأنها روحاً واحدة اندمجت في جسدين، ربما توارثنا هذا التخيل من الفلاسفة اليونانيين حينما قالوا أن الله خلق الأرواح على شكل كرات، ثم قسم كل روح نصفين ووضع كل نصف في جسد فإذا تلاقى الجسدان حنت أرواحهم لذلك التكوين السابق فأحبوا بعضهم وهذا ما نشعر به أو نحس به ولكن لا دليل على هذا ولم يرد في ديننا الحنيف مثل هذه النظريات بتاتاً ولا أعرف بهذا الخصوص إلا ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا والأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف" (٦)

أخذ الأرق نصيبه مني في هذه الأيام وحتى إن لم يقرر زيارتي في أحد الليالي يأتييني شيء آخر لا أعرف ما اسمه وهو الاستيقاظ المستمر فكل ساعة أو ساعة ونصف استيقظ في فراشي من دون سبب ولا يرجع النوم لي

^٦ صحيح مسلم

بسهولة يذكرني بجني لا أدري إن كان حقيقة أم خرافة يسمونه الجاسوم لأنه
يجسم عليك فيكتم نفسك فتستيقظ فلا تستطيع التنفس ولا تستطيع الحراك
ولكني لم أسمع أبداً بجني يسمونه المنبّه أو الميقظ لربما كان هذا من
اضطراب كيمياء جسدي ..

مع الأيام خفت هذه الظاهرة وكان أول يوم أنام فيه دون عناء هو ما سبق
يوم شراء المحابس، ففي تلك الليلة شعرت بطمأنينة لا توصف ونمت بمجرد
أن وضعت رأسي على الوسادة.

بعد انكسار الحاجز الجليدي بين الخطيبين يحاول كل منها الإبحار في
محيط الآخر فيبدأ ببناء السفينة محضراً بعض الأسئلة ومن ثم تبدأ رحلته من
الخطبة حيث يرفع الشراع ليحرك الهواء السفينة وبيحر في هذا المحيط
الغامض العميق ويحاول كل منهم في البداية إيجاد الأشياء المشتركة وهذا
من الفطرة الإنسانية إذ تجد أن معظم الأصدقاء يشتركون بكثير من الصفات
أو النشاطات إن لم تكن على الصعيد الإثني أو الديني فعلى الصعيد العملي
أو على صعيد الهوايات وأتذكر المثل القائل "الطيور على أشكالها تقع" ولو
لاحظتم أننا عندما نتعرف على أشخاص جدد يستمر كل طرف منا في رمي
الأسئلة حتى تقع في يد أحدهم كرة مشتركة فيتشبث بها ويحاول أن يمحس
النظر في تفاصيلها وكلما كثرت الكرات المشتركة بين الشخصين زادت الألفة
وزاد معها احتمال لقائهم من جديد.

كانت سفني تبحر إما في بيتهم عند الزيارة أو عبر الإنترنت أو على الهاتف وكل منا يسأل الآخر أسئلة يحاول فيها معرفة ما استطاع من المعلومات التي تثير غموض الطرف الآخر المظلم وتجعله كالسراج المنير وشفافاً كالماء الزلال.

في ذاك اليوم ضربت لها مثالين لمحاولة كسر الحواجز ولمحاولة فهم بعضنا البعض بالمثل الأول قلت لها: أي شيء يخطر ببالك لا تبخلي به علي واعتبريني كتاباً على رفِّ في أحد المكتبات تودّين شرائه فماذا ستفعلين به قبل أن تشتريه ؟!! سنقرأ الفهرس بالبداية لكي تقرري ما إذا كانت المواضيع مشوّقة أم لا ودورك معي الآن أن تعتبريني كتاباً سنكتبين فهرسه بيدك ومن ثم سنكتب معا تفاصيل كل عنوان.

وقلت لها: أو لنقل أن الطبيب النفسي ومريضه يحتاجون إلى أكثر من جلسه حتى يبدأ المريض بالبوح بكل شيء ويبدأ الطبيب بالتوجيه الصحيح فاعتبريني مريضاً لديك وأنت طبيبتي النفسية وفي هذه اللحظة قاطعتني بخجل وقالت لا بل أنت طبيبي النفسي وفي الواقع إن آدم مريض نفسي بين يدي طبيبته حواء وحواء مريضة نفسيه بين يدي طبيبها آدم كل منهما يشفي الآخر ويكمّله.

أخذ كل منا يرسم للآخر خريطة ذهنية إرشادية لكي يمشي عليها بسلام
وليصـل إلى ما يريدـه بأقصر الطرق، ومهما حاول الإنسان معرفة الآخر في
هذه الفترة القصيرة "فترة الخطوبة" فلن يفلح البتة حتى لو كانت فترة الخطوبة
طويلة لسببين رئيسيين: السبب الأول، وللأسف ليس كل الناس يتصرف
على سجيته في أيام الخطبة إن لم يكن على المستويات الشخصية فعلى
مستويات أخرى فمثلاً كنت منذ صغري صريح وصادق ولكني كنت لا
أتصرف على طبيعتي في أيام الخطبة من ناحية الملابس مثلاً إذ أصبحت
أرتدي الملابس الرسمية بسبب نصيحة كثير من الناس ولكني حقيقة أحب
الملابس التي تريحني أكثر من التي تجعلني أنيقاً ولكن هذا لم يدم طويلاً،
إذا صارتها لاحقاً أني لا أحب أن أرتدي هذا اللباس الرسمي، فقالت لي:
ارتدي ما شئت .. ولم أكذب خيراً وكنت أرتدي الملابس الاعتيادية في الزيارة
التالية مباشرة.

وأما السبب الثاني، إن المعرفة عن بعد تختلف كثيراً عن العشرة وهناك
الكثير من الأشخاص الذين كنا نعشقهم كأصحاب ولكن عندما عاشرناهم
وشركناهم السكن وجدنا أن معشرهم مختلف جداً عن معرفتنا بهم في الخارج
واكتشفنا الكثير من الطبايع التي لم تكن واضحة المَعَالِم حينما كنا نعرفهم
خارج نطاق المَعَشَر، بناءً على هذا فإن الزوجة أو الزوج عندما يدخلوا
قفص الزوجية ولا أدري لماذا سموه كذلك سيكتشفون أضعاف أضعاف ما
كانوا يعرفوه عن بعضهم في مرحلة الخطبة وعقد النكاح.

ولهذا أطلقت على هذه الرحلة، رحلة الإبحار في محيط الآخر فهي رحلة طويلة وصعبة ولا تجتازها السفن إلا إن كان قبطانها و قبطانها حكيمن ولهذه الرحلة نهايتين لا ثالث لهما بعد أن يعاني كل منهما كثيرا في مصارعة الأمواج العالية والرياح العاتية للوصول إلى شاطئ الآخر والبقاء معه على بر الأمان حتى الفراق بالموت أو يمكن أن تتصادم سفينته مع سفينتها بقوة فتغرق كلتا السفينتان قبل وصولهما إلى بر الأمان وأعني بالغرق فشل العلاقة الزوجية "الطلاق" أبعد الله عنا وعن القراء..

بعد أن يكتشف كل من الاثنين خبايا الطرف الآخر وأسراره ونمط معيشتهم وما يحب وما يكره، يقرر كل منهما الصعود إلى سفينة الآخر بعد أن يجمعهما الزواج، فيضم كل منهم خبرته إلى خبرة الآخر ويُقرّروا أن يُبحروا سويةً شاقّين برحلتهم درب الحياة كما شَقَّها قبلهم آبائهم وأجدادهم كسُنة من سُنن الحياة في محيط الدنيا الغامض ينير طريقهم نور الحب الذي بينهم ويثبت أقدامهم حسن ظنهم بالله.

سيجد كل شخص منهم بعد بداية الرحلة تلقائياً أنه بدأ يحب ما يحبه خليله ويكره ما يكرهه سيجدوا أن أسطولهم بدأ يكبر يوماً بعد يوم حينما اختار الرجل بعض السفن لتبحر معه ليجد أن سفناً أخرى قد أقبلت من طريق زوجته للأسطول ومن هنا تجد أن كل منهم بدأ يتقبل الآخر فيفتح قلبه لأشخاص جدد لا يعرفهم (أعني أقارب زوجته) وربما كان مكتفياً بمعارفه قبل ارتباطه بهذه المرأة ولكن وبسبب سُنَّة هذه العلاقة التي يتربع على عرشها وجوب المشاركة في كل شيء ستفتح أبواب قلبه وترحب بأي طرف جديد من جانب زوجته وكذلك هي ستفعل بالمقابل ..

عدة عواصف قد تواجه الرُّبَّانين قبل أن يصعدوا سوية إلى سفينة واحدة، أحد أهم هذه العواصف هو: المقارنة ولها نوعين، لا شك أن المثل الأعلى لدى الفتاة هو الأب ولدى الشاب هو الأم وهذه حقيقة لا يمكن نكرانها، بعد الزواج يبدأ كل من الزوجين بمقارنة أزواجهم مع مثلهم الأعلى دون أن يَعُوا بالفوارق الضخمة بين الاثنين من عمر وخبرة في الحياة، فإن قارن الرجل زوجته بأمه سيختلف معها كثيراً وقد يفترق هو وزوجته بسبب هذه المقارنات الغير منطقية، ونفس الشيء بالنسبة للمرأة إن قارنت زوجها بأبيها فستكرهه كثيراً ولن تفلح في جعل هذه العلاقة مستمرة بينها وبين زوجها.

معظمنا يكره المقارنة منذ أن كان طفلاً، كم كنت أكره نفسي وأكره الحياة عندما يقارنني أهلي بأحد أقراني أو بأحد أقاربي غاضبين الطَّرف عن الفُروق التي وَضعها الله بين بني البشر يظنُّون ظن الخير بأنهم سيحفظونني لكي أصبح مثل من يقارنوني فيه ولكني كنت على النَّقيض من ظنِّهم، فحتى لو كنت قادراً على مُجَابَهَة من يقارنوني به استسلمت وتوقفت عن التحدي نكاية لهذه المقارنة الظالمة، وهذا بالضبط ما يحدث بين الأزواج عند مقارنة بعضهم البعض بمثلهم الأعلى، أما النوع الثاني من المقارنة وهو أيضاً عاصف بشدة يغرق السفينة خلال أيام، وهو عندما يقارن أحد الأطراف زوجه بزوج صديق له أو زوج أخته ويبدأ بذكر إيجابيات ذاك الطرف الآخر محاولاً أن يُحقِّرَ الزوج على تقليده، رغم أنه قد يتوفر سلبيات عظيمة بذلك الشخص لا يعلم بها من يحاول المقارنة، عند المقارنة ينزعج الزوج أو الزوجة وحتى لو كان بنيتهم سابقاً فعل شيء جيد لألغوه من قائمة مهامهم نهائياً لمجرد أنه تمت مقارنتهم.

أما الشُّعْبُ المَرَجَانِيَّةُ التي تكاد تصل إلى سطح البحر فتمزق بطن السفينة إرباً وتغرقها هي عدم الإيمان بسنة الاختلاف الكونيَّة، تحدثنا على الهاتف ذات يوم عن سنة الاختلاف وقلت لها أنه مهما تعرفنا على بعضنا البعض في أيام الخطوبة وأيام العقد فسنبقى لا نعرف عن بعضنا إلا القليل!!

استغربت وقالت لي: و كيف كذلك؟ فأخذت أشرح لها قصة مشاركتي السكن لأحد أصدقائي وأني كنت أحبُّه كأخي عندما كنا سويّة في الجامعة ولكن بعد أن شاركته السكن تحول حبِّي إلى بغض ولم أعد أستطيع تحمله فتركت البيت بعد خمسة أشهر من دخولي له وبعد فترة على تركي للبيت عدنا أصحابا كسابق عهدنا، وطمأننتها أن هذا لا ينطبق عليها فأنا لست مجبوراً على تحمل صديق ولست مكلفاً بالتنازل عن عدة أشياء لأجله تكون على حساب الهدف الذي جئت إليه ألا وهو الدراسة .. فالاختلاف يا حبيبتي سنّة كونية، فإن اجتمعنا غدا في منزل واحد سيكون كل واحد منا قد تعود على نمط عيش معين وقد تربى بطرق معينة وتعلم بأساليب معينة وكان له خبرات مختلفة وتجارب متباينة عن الآخر وهنا يأتي التّحدي، حيث تكون الفترة الأولى من الزواج لنقل الستة أشهر الأولى إلى فترة السنة هي فترة لمحاولة الاندماج و التكيف مع الطرف الآخر الذي سيصبح شريكا للدرب حتى النفس الأخير في الدنيا .. فإن كانت خطة أحدا أن يجبر الآخر على التّعود على نمط عيشه لن يُفلح الطرفان في التكيف مع بعضهما بتاتاً، أما إن كان هدفهم بناء حياة جديدة يرضى بها الطرفان عندها سيفلحان وينسى كل منهم نمط حياته ليتبنّى هذا النمط الجديد الذي نحت معالمه الزوجان بأيديهم وصنعوه سوية من مزيج أنماطهم القديمة ..

وأضفت لها قصة أخرى وهي عندما انتهيت من الدراسة و عدت بعد أن أمضيت أربعة سنوات بعيدًا عن أهلي، وكيف أني بنيت لنفسي نمط حياة شخصي: أنام وقتما أشاء وأستيقظ وقتما أشاء ولم أضع تلافازًا في منزلي وكنت أكل ما يحلو لي وهكذا .. ولكن عندما عدت أدرجي إلى بيت أبي وأمي وبالذات في الثلاثة شهور الأولى، شعرت أني في جحيم فكل شيء تغير كنت أرى أني عدت إلى نمط حياة فوضاوي ضوضائي حيث يعلوا به صوت التلفاز ويتكاثر به الشجار بين الإخوان الصغار ويلحقون ببعضهم ويعلوا صوت خطاهم على الأرض وكأنه الطبل، والأم تصرخ طالبة هدوئهم والأكل يوما لك ويوما عليك أي أنه قد يعجبك وقد لا يعجبك.. ولكني اضطررت للتأقلم فهذه عائلتي ومع الوقت تعودت وكذلك أنت .. ستكون أُمي وأختي وصديقتي وزوجتي فكيف لي ألا أحاول التأقلم وأحاول أن أبني معك نمط حياة يرضى به كلانا ؟! لذا فلا تستعربي إن حدثت خلافات كثيرة في الستة شهور الأولى وحبيبتني أعيدها للمرة العاشرة من دافع التذكير .. فلنعود أنفسنا على الصراحة كي لا نحمل على عاتقنا الصغائر والتوافه التي تتراكم مع الوقت فتهلكنا قشة تقسم ظهرنا فننفجر في بعضنا لأتفه الأسباب.. كوني صريحة معي ولنكن صراحتك بمثابة خدشه صغيرة بدلا من أن تكون بمثابة طعنه إن كانت متراكمة ومكبوتة.. وانتهى بهذا النقاش الذي دار بيننا في ذلك اليوم.

فقال لي كلامك جميل جدا..

بعد بضعة شهور من الرحلة الطويلة سيبدأ كل منهم بمشاطرة كل شيء هواياتهم مغامراتهم والطعام الذي يحبوه، حتى ولو لم يكن بعضهم يحب بعض أصناف الطعام التي يحبها الآخر سيبدأ بعد برهة بحبه، وتحدث أشياء غريبة وعجيبة بينهم وتضحيات خيالية لم تكن لتحدث من قبل والمتهم الوحيد يكون الحب.

كان رأيي الأبدي لكل اثنان قُدر لهما أن يكونا زوجين هو أن يفتحوا معا صفحة جديدة بيضاء حتى وإن كان لدى كل منهم تاريخ ملطخ بسواد الذنوب والخطايا .. فلينسوها وليدفنوا مذكراتهم وتاريخهم معا في حفرة كبيرة وليضرموا بها النيران رامين الماضي خلفهم متخلصين بذلك عن حمل ثقيل كان يرهق كاهلهم ويزيد مقلتهم احمرارا ويكسو جفونهم سوادا من الأرق وبالنهاية ليطمروا فوق رماد تلك الذكريات التراب..

حتى رماد تلك الذكريات لا يستحق أن يتحرر في الريح، تقول بعض الأمثال النمامة "ما من شجرة إلا هزها الريح وما من قلب إلا زاره الحُب وما من شخص إلا وله تاريخ"، فلماذا نزعج أنفسنا طالما كانت هذه شبه مسلمات سوءا كان الحب طفولي أو في سن مراهقة أو من طرف واحد فالأفضل أن يبتعد كل شخص منهم عما ينغص رغد عيشهم الحاضر أو يعكر صفو حبهم العفيف.

ليفتحوا معا كتابا جديدا وليكن تاريخ زواجهم تاريخ ميلاد جديد، ثم ليدونوا معا مذكراتهم بداية من الصفحة البيضاء الأولى في ذلك الكتاب.

التضحيات والتنازلات التي يقدمها الشاب أو الفتاة تبدأ من اليوم الأول الذي يتقابلان فيه، وتستمر حياتهم إن كتب الله لهم أن يكونوا سعداء على هذا المنوال حتى بعد الزواج وهذه ضريبة المشاركة التي تفرضها الحياة علينا، فإن كنت وحيداً فلن تضطر أن تقوم بشيء معين إلا إذا أردت أنت ذلك ولكن ضرائب الوحدة أكثر بكثير من ضرائب مشاركة الحياة مع زوجة ولذلك يُضحي كل من الرجل والمرأة في سبيل المحافظة على علاقتهم وتتنوع التنازلات والتضحيات بحجمها ويناسب هذا المقام مقال الشاعر أبو العلاء المعري: وتصغر في عين الكبير كبارها**وتكبر في عين الصغير الصغائر.

مع التنويه أنه لا يجب أن يُستغل أي من الطرفين تسامح شريكه الزائد لأن ذلك قد ينقلب عليه حسب قاعدة "كل شيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده" وهي القاعدة الوحيدة برأي التي ينجح بها التعميم الذي يعتبره عامة العقلاء خاطئاً في معظم مواقف الحياة.

مثال على هذه التضحيات أني بدأت المشي وتخفيف الأكل في محاولة لخسارة وزني من أجلها والتضحية هنا تكون بمعاكسة النفس التي تشتتهي ما لذ وطاب وتحب الراحة عن الرياضة، وضحيات بنومي فخف كثيرا و تنازلت عن وقت نومي الذي اعتدت أن أنام فيه لأنها كانت تنام في وقت مختلف ولكننا اتفقنا أن نؤحد نمط حياتنا بعد الزواج.

التقيت بأحد معارفي الذي لم يدم زواجه أكثر من ستة أشهر وكان قد تزوج من فتاة تحفظ القرآن وكنا نتوقع لهم أهنيئ العيش على أساس أنه رزق بذات الدين، ولكن الأيام أثبتت عكس ذلك فكثير من الفتيات هذه الأيام تحمل القرآن وتلبس النقاب ولكن أفعالها تشين ما يبدا عليها ظاهرها ولست هنا في صدد التحدث عن هذا، المهم قلت له ما الذي حدث ؟ لقد صدمتني بهذا الخبر، فقال لي: اقبلها كما هي أو لا تقبلها، فقلت له فسر لي رجاءً ماذا تعني بهذا القول!!

فقال لي: عندما تتقدم إلى فتاة في مرحلة الخطبة ستجد منها بعض التصرفات وبعض الطباع التي لا تعجبك والتي قد تظن بينك وبين نفسك أنها قد تتغير بعد الزواج أو أن باستطاعتك تغييرها، فقلت له انصحني: ماذا أفعل كي لا أقع بنفس الغلطة التي وقعت أنت بها؟

فقال لي: أرسم لنفسك (خطوطاً حمراء) يستحيل أن ترضى بها أو تتغاضى

عنها مثلا أن تكون الفتاة غير محجبة أو أن تكون كذابة أو أن تكون بخيله أو كسولة .. الخ.

الخطوط الحمراء تختلف من رجل إلى رجل وما يكون خطأ أحمر لبعض الرجال يكون خطأ أخضر لرجال آخرين، ومن ثم صنف طبائع خطيبتك بين هذين اللونين، فإن وجدت منها شيئا تجاوز خطوطك الحمراء فنصيحة مني أن تبحث عن فتاة أخرى لأن هذا الطبائع الذي تتصف بها لن تتغير البتة .. انتهى حديثه وقد وفقه الله وزوجه بخير منها فلا تحملوا همهم وفكروا بأنفسكم، ومن وجهة نظري فأنا أرى أن المرأة يجب أن تفعل نفس الشيء تماما فهي الأخرى إنسان وقد يكون عندها بعض الخطوط الحمراء التي تمنعها من الأنس بهذا الرجل وإمضاء بقية حياتها معه.

تعود هذه الاختلافات إلى اختلاف المنابع التي نهل منها كل شخص وإلى اختلاف الأساليب التربوية التي عايشها كل منهم وإلى اختلاف البيئات الاجتماعية التي اختلط بها كل منهم ولذلك قد يلمس الشخص أحيانا إحدى التصرفات التي يستحيل أن يقوم بها هو بينما تجد الطرف الآخر يقوم بها ولا يجد فيها عيبا البتة، فسبحان من خلق وافر.

ألم يفكر أحدكم في سؤال مهم!!

ماذا لو استمر كلا الطرفين طوال فترة الخطبة وحتى الزواج بتقديم سلوكيات جميلة لم تدس على طرف الخطوط الحمراء التي رسمها كل منهم ولكن بعد الزواج بدأت تظهر هذه الأمور الغير متوقعة فما الحل؟ علينا أن نبدي استيائنا لشريكنا من أي تصرف يزعجنا وخصوصا إن اقترب من خطوطنا الحمراء أو حتى حام حولها، فلنفرض أنك ضد خروج زوجتك وهي متبرجة فإن التبرج وحده ليس خط أحمر وحسب بل وكل ما يرتبط به من وضع كحلة فقط أو وضع بعض كريم الأساس أو وضع بودرة وهكذا، لأن التهاون في شيء يؤدي إلى شيء أكبر منه .. والنار تبدأ من مستصغر الشرر.

تذكرت تجربة مختلفة لا تحتوي خطوطا حمراء ولا خضراء ولكنها كانت خاطرة أتخيل بها فتاة أحلامي وهذا التخيل ليس كقانون الجذب الفارغ وليس كالبرمجة الهرائية العصبية وإنما هي خاطرة عادية أقرأها من حين لآخر وأناجي ربي بما فيها لكي تتحقق فأسأل المولى بنفس الوقت أن يرزقني ما تمنيته وقد كتبت هذه الخاطرة منذ ثلاث سنوات وكانت النية أن أطلب من كل فتاة أتقدم لها أن تقرأ هذه الخاطرة لأرى ردة فعلها عليها !!! لا أريد تشويقكم ولكني أتمنى من كل شاب وشابة أن يكتب مثل هذه الخاطرة بطريقته الخاصة يتخيل ويكتب بها مواصفات رفيق دربه..

ولا عيب في ذلك البتة ولا حرمة، وإن من يهول أمر ذلك ويستحي أن يذكر شيئا عن أمه أو أخته أو زوجته فهو مغفل نسي أن من علمه كيف ينظف

نفسه بعد قضاء حاجته هو أمه، لا ويزيد الطينة بلة أولئك الذين يقولون جملة "أكرمكم الله" قبل الحديث عن النساء وهو من يستحقون أن يقال قبل ذكرهم أكرمكم الله، ليس موضوعنا الآن .. لقد تحدث الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله عن زوجته في أحد مقالاته واصفا أيها وقال لمن يستهجنون وصفه زوجته هذه الكلمات:

"أكتب عن زوجتي فأين مكان العيب في ذلك؟ ولماذا يكتب المحب عن الحبيبة وهي زوج بالحرام، ولا يكتب الزوج عن المرأة وهي حبيبته بالحلال؟ ولماذا لا أذكر الحق من مزاياها لأرغب الناس في الزواج. والعاشق يصف الباطل من محاسن العشيقة فيحبب المعصية إلى الناس؟ إن الناس يقرؤون كل يوم المقالات والفصول الطوال في مآسي الزواج وشروره، فلم لا يقرؤوا مقالة واحدة في نعمه وخيراته؟" انتهى كلامه، والآن لنعود لخاطرتي التي وصفت بها فتاة أحلامي وأنا ابن ثمانية عشر ربيعاً:

"فتاة أحلامي"

لا أعلم لما أكتب عنها من الآن و مازال الوقت مبكراً حتى تأتي تلك اللحظات السعيدة ..

أبحث عن إنسانة تفهمني إنسانة بكل ما تحمله الإنسانية من معنى؟ إنسانة تكون صادقة معي .. مخلصه لي لا تلتفت إلى سواي. إنسانة تضحي من أجلي، وتبحث عن أي وسيلة لإرضائي وإسعادي.. إنسانة تصبر على سيئات طباعي.. تفهمني وتحس بي. أجدها عندما أحتاجها بجانب، تساعدني بالإنصات إلى همومي دون تعب أو ملل إنسانة تمسح دموعي قبل سقوطها على وجنتي .. إنسانة تعرف أنني أعني لها الكثير وأنه لن تعوضني بكنوز الدنيا كلها .. إنسانة تحبني بصدق لأبادلها كل ما ذكرته. لن أحاول مراقبتها لأرى أنها تحقق ما أتمناها أن تكون عليه ولكني أتمنى بأن تتصف زوجتي بتلك الصفات، طلبي سيكون لها أن تعاملني كما أعاملها.

سأبدأ بدينها: أتمنى من الله أن يرزقني بالفتاة التي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبحث عنها متدينة ومتفقهة الفقه الكافي لتنشئة أجيال إسلامية لا تفكر بالحرام وأينما رآته تبتعد عنه كل البعد، أريدها أن لا تقطع فرضا فرضه الله عليها .. و إن رأيتني مقصر في فرض ما أو مثلاً لنقل نائم عن صلاة الفجر أن ترفسني حتى توقعني من الفراش لأقوم بأداء الفريضة خوفاً علي من أن أموت وأن مقصر في حق الله .

أخلاقها: أتمنى من الله أن يرزقني بفتاة خلوقة عفيفة تحترمني كما تحترم

أباها ولا ترفض لي طلبا إلا ما لا يرضي الله عز وجل، أتمنى أن لا تأتي لي يوما تشتكي به من أمي لأنني أعرف من هي أمي؟ أمي التي طالما دعيت ربي أن يرزقني بفتاه تحمل صفاتها الفاضلة. ليس لأنها أمي .. فأنا أعرف أشخاصا لا يهدأ لسانهم بلعن أخلاق أمهاتهم لما يروه من سوء تعامل مع آبائهم، أتمنى أن تعرف معنى التنازل و أن تكون حنكة كفاية لتعرف عواقب الأمور وتكون نظرتها بعيدة المدى لتشمل شهورا للأمام .

شخصيتها: أتمناها قوية الشخصية ليس إلى حد التسلط وحب السيطرة ولا لدرجة السادية المسترجلة التي تحب أن تتولى زمام الأمور وتحب أن تتحكم بزوجها .. إنما قوية الشخصية التي تبادر وتشارك وتطرح وجهة نظرها ولا تسكت على باطل.

أتمنى أن تكون ذكية كفاية لتستطيع إدارة شؤون بيتها جيدا وتدير وقتها بشكل جيد ..

و الأهم من ذلك أن يكون هدفها الأول أن تصنع من أولادها بمساعدتي طبعاً أبطالاً يرفعون اسم الإسلام عالياً بعلمهم ويعيدون أمجاداً انطفأت أنوارها منذ زمان بعيد.

لطالما نويت أن أكون أحد أولئك الأبطال ولكن إن قدر الله ولم أستطع ذلك فأسأل الله أن يبسر ذلك لأحد أبنائي.

أتمنى أن تكون صريحة كفاية لتقومني عندما أخطئ ولكن ليس صريحة لدرجة الوقاحة الجارحة.

أتمنى أن تكون قنوعة كفاية لتكون غير متطلبة .. . تقنع بكل الظروف التي سيوضع زوجها بها في يوم من الأيام .. تقنع بأي سقف قد يضطر زوجها للنوم تحته يوما من الأيام ..

مؤمنه كفاية لتقنع بأن الدنيا زائلة وأن الفوز الكبير بالآخرة. أتمنى أن يزيد حبنا لبعضنا في كل يوم لدرجة أن يأتي يوما نتمنى فيه معا أن لا يفترق أحدهما عن الآخر حتى في الموت الذي يفرق بلا رحمه.

شكلها: قلما أهتمني الشكل ليس بمعنى أنه لا يهمن البتة ولكني أقصد أنه في حال توفرت الصفات السابقة فعلى الدنيا السلام، أتمنى أن يرزقني الله بفتاة طويلة القامة من ١٦٥ إلى ١٧٥ سم نحيلة إلى متوسطه الجسم، ببيضاء البشرة محمرة الأطراف، ناعمة الشعر إما بلون أسود فاحم أو بلون خرنوبي "لون قريب إلى البني"، نجلء العينين برموش طويلة وبالنهاية أتمناها رخيمة الصوت .

طموحها: كم كرهت فتيات هذا العصر عندما رأيتهم في الجامعة فالطموح كان مخز وكذلك معظم حال الشباب .. لأن الهوية الإسلامية مفقودة والتبعية

والقدوة تكون للغرب والرسول صلى عليه الله وسلم وأصحابه مهمشين في
عقول شباب هذا الجيل ..

أدعوا دائماً وأتمنى أن يستجاب دعائي: اللهم اجعلني وإياها للمتقين إماماً ..
أتمنى أن تكون هذه الفتاة صاحبة رسالة و طموح وأهداف محددة.. تبحث
عن المثالية وإن لم تستطع بلوغها مدى الحياة فالكمال لله، الفتيات التي
يحملن هذه الصفات أصبحوا قلة ولكنهم موجودون والحمد لله .. كم كانت
سير الصحابييات مؤثرة.. فأين فتيات هذا العصر من الصحابية سمية بنت
خُباب أو خولة بنت الأزور .. أتمنى أن يرزقني الله بما فيه الخير لي
لمعاشي وعاقبة أمري.

ألا يحق لي أن أحلم .. اللهم هذا حلمي ودعائي لك اللهم اصطفي لي
الزوجة الصالحة التي تخافك والتي وصانا بها رسولنا صلى الله عليه وسلم
وارزقنا اللهم زينة الحياة الدنيا، الذرية الصالحة واجعلهم قرة أعين واجعلنا
للمتقين إماماً، وارزقنا بالمال الحلال فأنت تبسط الرزق لمن تشاء وتقدر ..
وإن لم تقدر لي بهذه الزينة خير فاصرفها عني واجعل لي الخير كله في
حياتي الآخرة. اللهم إنني أسألك البركة في كل شيء.. في الوقت و المال
والولد وفي كل أمور ديني ودنيتي، اللهم هذا الجهد وعليك التكلان ومنك
الاستجابة.

... انتهى المقال

كنت قد مررت هذا الوصف لتقى ضمن مجموعة مقالات جمعتها في كتاب أسميته حديث الروح وكنت أقول أن اللبيب من الإشارة يفهم وفلا عندما فتحت هذا الكتاب يبدو بأنها لم تقرأ غير هذه الخاطرة من بين كل المقالات وسألتها يوم قراءة الفاتحة: كيف تري انطباقك على مواصفات الفتاة التي تمنيتها أن تكون زوجة لي بالمقال، فردت بإيماء لطيفة لأن يدين الخجل كانت تطوق عنقها الرقيق وفهمت من إجابتها التي خرجت بالكاد من حنجرتها وهو أن مقالي يطابق صفاتها فتتهدت براحة وحمدت الله.

لقد كتبت كثيرا عنها في السابق دون أن أعي من تكون ومتى ستأتي ومن أين ستأتي وكنت في كل مرة أنتهي من الكتابة عنها أقول بيني وبين نفسي هذه آخر خاطرة تخطها أناملي عنها ومن حسن حظي أنني نجحت في يوم ما بالسيطرة على قلبي وبت أكتب عنها في كتاب الخيال خاصتي .. آخر ما خططته أناملي كان قبل أن أراها بستة أشهر بضع كلمات حزينة يملئها الأمل يتربع على عرشها عنوان "حوائي" ونصها:

"هو كائن بشري خلقه الله سبحانه وتعالى لحكمة ربانية ربما كان سبب وجودها اكتمال التوازن الكوني .. يقال في القصص أن آدم استوحش فخلق الله حواء من ضلعه لتكسر وحشته بأنوثتها ولتؤنسه في وحدته .. أتأمل بيني وبين نفسي لأني استوحشت وانظر إلى السماء بطريقة اعتقدت أنها تضحك سكان السماء!! أقول بقلب مكسور: ربي لقد استوحشت فأين هي حوائي التي

خلقتها من ضلعي وكتبت في اللوح المحفوظ أنها ستكون زوجة لي؟
لا أدري إن كان يحق لي أن أسأل هذا السؤال!!
كل ما أعرفه أنني أبحث عن تلك التي خلقت من ضلعي بطريقة لا أدري ما
كيفيتها ولا أريد أن أدري، كل ما أريده أن أجد تلك المخلوقة لأضمها إلى
صدري فأتمم نقصا وفجوة أحس بها نشأت في وقت أجهله ولسبب أجهله ..
ربي هذه السنة الخامسة وأنا أنظر إليك متسائلا: أين حوائي .. أين حوائي؟
٢٠٠٨ \ ٨ \ ١٩ - الساعة الرابعة والنصف صباحا



لا خلاف أنا أمر المحابس هو أمر دخيل لا علاقة له بالإسلام وهو عادة غريبة جاءت من الغرب مع الاستعمار ومع مخالطة الناس من الأديان الأخرى ولذلك أود التنويه أن عادة تلبيس الخواتم أو المحابس أو الدبل بأسمائها المتعددة هي مجرد شيء تقليدي وضعه المجتمع ونضطر أحيانا للقيام به تجنباً للضرر الحاصل كأن يشاع على الشخص بأنه متعصب رغم عدم صحة ذلك أو يشاع عنه أنه بخيل يتقنع بالدين كي لا يشتري الخواتم ومن هذه الأمور التي لا يمل المجتمع من الحديث عنها وأنا هنا لست أتحدى المجتمع بكامله فقد أعطى بعض العلماء رخصة في هذا الأمر أن إذا كان الشيء دخيلاً على الإسلام وكانت نية المرء أن يفعله لا تشبهاً أو تقليداً فلا بأس أن يفعله كي لا يتصادم المرء ومجتمعه ومن هذه الأشياء مثلاً عادة القيام احتراماً فهي محرمة ووعد من يطلب من الناس أن يقوموا له بأشد الوعيد في السنة النبوية ولكنها أصبحت في كثير من الدول العربية عرفاً دخيلاً لا أدري من أين أتى.

من عاداتنا في سوريا أن الشاب يبدأ بزيارة خطيبته في بيتها بعد التلبس وتختلف هذه العادات من مكان لآخر ويشترط وجود محرم معهم في نفس الغرفة كي يكون مجلسهم يطابق شروط الآداب الشرعية والأخلاقية لأن الخاطب في ذلك الوقت ما زال غريبا عليها ولا يحل له منها شيء .. وكنت في شوق لتلك اللحظات، كان اتفاقنا من قبل أن نشترى المحابس على ذوقنا ولكنني فضلت أن تختاره بنفسها رغم أنني أؤمن أن الأذواق ستتشابه .. لماذا يا ترى؟

لأنني اخترتها واختارتني وهذا دليل كاف لي أن أذوقنا جميلة وإن كانت الاختلافات طفيفة، اتصلت بي أُمِّي في اليوم المتفق عليه وكان اتفاقنا بالأمس أن أذهب وأخذهم معي بالسيارة ومن ثم نتجه إلى سوق الذهب ولكن المفاجئة أن أُمِّي قالت لي في تمام الساعة الخامسة سنكون أنا وهم في السوق وكان الساعة في يدي تشير إلى الرابعة والخمس وأربعون دقيقة فما لبثت إلا أن أغلقت حاسوبي وأخبرت مديري بالموضوع وكنت بحمد الله وبتيشير منه قد أنهيت مهامِّي في ذلك اليوم مبكرا، فتوجهت إلى محل ورود واخترت باقة صغيرة من ورد الجوري باللونين: الأبيض والزهري ووضعتها في السيارة بالخلف وانطلقت مسرعا إلى مكان وجودهم وكأن معي حالة ولادة في السيارة وشوقي لرؤيتها كشوق ظمآن انقطع به السبل في عرض الصحراء وطال عليه العطش حتى وجد بئرا فأخذ يركض إليه كالمجنون. النقيب بهم بعد انتهوا من التسوق واتجهنا مباشرة إلى "سوق آخر" كنت قد

زرتة أنا وأمّي في الليلة الماضية وأخذنا فكرة عن السوق وعن إمكانية إيجاد طلبنا هناك وسبحان الله كان التيسير أيضا لا يوصف إذا انتهينا من كل شيء خلال ساعة ونصف تقريبا وفي ذلك اليوم كنت أكتفي بالوقوف بعيداً ولا أقترّب منها إلا إن طلبوا رأيي بخاتم معين لأنّي كلما اقتربت منها أحسست أن أنفاسها تكاد تنقطع من الخجل ولكنني في ذلك اليوم استطعت أن أنجز انجازا، كما ذكرت سابقا أنّي حاولت اكتشاف طولها منذ الزيارة الأولى وفي هذا اليوم استطعت والحمد لله أعجبنى طولها بالمقارنة مع طولي، وأهديتها في ذلك اليوم إحدى الروايات التي شوقنتني إلى الزواج وهي رواية ماجدولين "تحت ظلال الزيزفون" التي ترجمها إلى العربية الأديب المخضرم: المنفلوطي، إضافة إلى باقة ورد الجوري.

بعد أن اخترنا الخواتم أخذتهم إلى بيتهم وانتظرت في الأسفل حتى تلاشت الفتاة عن أنظاري ومن ثم عدت وأمّي إلى منزلنا، أتحري لوحدي بشوق موعد اللقاء القادم.



الصراع مع الوسوس كالقراصنة التي تحاول أن تسلب كل شيء بغير حق في هذا المحيط الغامض، قد تستطيع مقاومتها إن كان ريانا جهيدا و حكيما وقد يتغلبوا عليك فينبهوا ما على سفينتك ويمضوا في طريقهم. ماذا فعلت بنفسي .. هذا ما قلته بسبب الوسوس، كثير من شباب اليوم تصيبه حالات توتر يردد فيها نذير الشؤم هذا الذي لا يتفوه به المتوكل على الله حق توكله، لنكن واقعيين ونسأل من تبقى من شباب المسلمين اليوم متوكل على الله حق توكله؟ التعميم خاطئ بالطبع ولكني وددت لو أعمم فهذا ما أراه من حولي بتنا نخاف من رئيسنا في العمل بأن يقطع رزقنا خوفا يطغى على اليقين بأن الله هو الرزاق، وأصبحنا نربط السعادة بشركة معينة أو بدولة معينة وهذا كله كلام فارغ فالسعادة والرزق والبركة كلها من واحد أحد فرد صمد.

ذاك اليوم تفوهت بهذه الجملة وكنت كمن يقال عنه "أشاجر مع ذباب وجهي" كنت في ذلك اليوم أبحث عن بيت لأستأجره لأصطدم بأمرين الأول قلة البيوت المعروضة للإيجار وهذا يعني ارتفاع الأسعار للمتوفرة وأكثر ما كان يرفع ضغطي في ذلك اليوم هي المكاتب العقارية المتعجرفة التي كانت

تعلق لوحة على الباب كاتبة بها: (لا يوجد شقق للإيجار) فعندما أقرأها أحس بشكل أو بآخر بأنها موجهة لي وحدي من بين كل الناس، لم أجد البيت الذي أستطيع تحمل نفقاته، فصعدت سيارتي وأنا أتفوه بكلام أنا لا أفهمه، الحروف تداخلت مع بعضها والكلمات لا تحمل معنا والحواس تتلاطم داخل إعصار طفيلي لا أعلم مصدره.

أتحدث هنا عن حالة تصيب الرجل في فترة الخطبة وتستمر معه إلى ليلة الزفاف وتأكدت أنني لست الوحيد الذي عايشها قبل أن أنقلها هنا، وهي حالة اضطراب نفسي يتخللها مزاجية غريبة من قمة الفرح إلى قمة الهم والحزن، فقد يكون الخاطب يفكر في أمر ما فتجد ابتسامته تكاد تصل إلى شحمتا أذنيه وفجأة تراه مقطب حاجبيه وعابس ومنهمك في التفكير، ولذلك تفسير بسيط: فعندما يكون الخاطب مبتسما فهو ينظر إلى الجوانب المشرقة في الزواج وإلى الألفة والاستقرار التي سيحظى بها بعد أن تصبح زوجته عنده، ويقطب حاجبيه ويعبس عندما يفكر في المصاريف المترتبة على المهر أو على استئجار منزل وفرشه و استئجار صالة أفراح و شهر العسل فتجد الهم قد ركبه ولكن انتبهوا فهذه كلها وساوس شيطانية يبثها الشيطان على الخاطب كي يفسخ الخطبة ويجمع المزيد من المال كي يكون على استعداد وهذا كله من الأوهام، إذ يجب على المسلم أن يتوكل على الله حق التوكل ويتذكر قوله صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة حق على الله عونهم: المجاهد في

سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف" (٧)، ومن هذا الحديث ندرك أن الزواج هو سبب في سعة الرزق وحتى في القرآن وعد الله عز وجل أن يغني الزوج الفقير إن تزوج في قوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٨) ولذلك يجب على المسلم أن يتوكل على الله حق توكله ولا يحمل هم المال الذي سيكون سببا يساعده على ستر نفسه وعفافها فإن توكل وظن بالله ظن الخير رزقه كما يرزق الطير من حيث لا يحتسب وكفا بالله وكيفا، ولا تنسوا أن الشيطان يوسوس لكم بأن تفسخوا الخطبة وحتى لو كتبت الكتاب الشرعي فسيوسوس لكم بأن تطلقوا زوجتكم حتى آخر ثانية وكلما اقترب الرجل من ليلة الزفاف ازدادت حدة هذه الوسواس التي يبثها الشيطان وازداد توتره بشكل ملحوظ ولذلك تجد في الفترة الأخيرة قبل العرس بأسبوع إلى أسبوعين ينصح كلاً من أهل الزوجين بأن لا يروا بعضهم البعض .. فإذا سألتهم اكتفوا بقول بأن أعصاب الطرفين تكون على وشك الانهيار لعدة أسباب، ربما كان سبب بداية نزوح المسؤوليات إلى مملكتك أحد أسباب التوتر وأحد الأسباب التي تعطي للشيطان إشارة خضراء بأن يمدك بهمزاته ويقول لك: مازال أمامك فرصة لتوقف كل شيء .. لا تورط نفسك .. فلتبقى حراً طليقاً .. إلخ من هذه الوسواس حتى تقول: اللهم إني أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك اللهم أن يحضرون، وأنا أكتب

^٧ الحديث برتبة الحسن بحكم الترمذي والبيهقي وأحمد والألباني

^٨ سورة النور: ٣٢

هذه الكلمات وأقولها بدأت نيران أعصابي تخدم وبدأ الرماد بالرقص على موجات الهواء، يقوم بحركات بهلوانية رائعة معلنا عن حالة تسمى: طنش تعش تنتعش.

عدت إلى البيت في يوم ما وكانت والدتي تعرف بأني كنت في رحلة للبحث عن منزل، وعندما رأنتي قالت لي: أمي الرعب واضح في عينيك، لم لا تسكن معنا .. أعطيك غرفتين من المنزل، طبعاً العرض بالنسبة لي مغري ولكن هناك الكثير من العوائق التي تقف في وجه أن أتخذ مثل هذا القرار وهو وجود إخوتي في المنزل وشعور زوجتي بالأسر واضطرابها للتحجب في معظم الوقت .. لا أدري، كان لأهلي عادة سيئة وهي أن يستمعوا إلى التلفاز بصوت مرتفع وكأنهم كهول ذهب سمعهم، وكنت ومازلت أكره التلفاز .. هذه واحدة والأخرى أتخس من الأصوات بشكل غير منطقي أن لا أفهمه أحيانا إذا قد يسبب لي منبه سيارة خلفي حالة هستيرية أصبح أوشر للسيارة التي خلفي بيدي أن ماذا تريد بطريقة عدائية وكأنني أود التشاجر، فقلت لهم تريدوني أن أسكن معكم .. وبدأت أتشاجر مع ذباب وجهي من جديد وأبربر بكلمات نبرتها ضيقة النطاق لا يسمعها إلا من هو بجانبني أقول فيها: تبا لهذا البيت تريدوني أن أسكن معكم .. تبا لهذا البيت أن لا أصدق متى أخرج من هنا كي أصنع نظامي الخاص بي.. والاستقلال أعتقد بأنه رغبة موجودة بكل إنسان ورغم ذلك يجب أن لا يعبر الشخص عن عواطفه هذه أمام أهله البتة لأنه سيجرحهم كثيرا، لقد سمعت أمي بربرتي فقالت لي بنبرة يبدوا عليها

الحزن مما سمعت: تقول لي أُمي هذا البيت تربيت فيه وترعرت فصعقت ولم أجد شيئاً يتردد على لساني إلا الاعتذار وتذكرت لحظتها نقاش صغير دار بيني وبين زوجتي عن التلفاز حينما قلت لها: هل لديك مانع أن لا يكون لدينا تلفاز في المنزل ؟ "سألتها متواضعا متوقع أن تكون مطيعة لدرجة أن تقول لي: أنت ماذا تريد ليكون مرادي نفسه"

ولكن الجواب كان: طبعاً لدي مانع، فقلت لها بتحدي: سنشتري واحداً إن شاء الله ولكن أعدك أن لا أجلس معك على التلفاز عندما أكون في المنزل فرددت قائلة وأنا أعدك أن لا أفتح التلفاز عندما تكون في المنزل! لا أدري من منا سيلتزم بوعده ولكني على الأقل لن أنسى ما كانت تقوله جدة أُمي رحمها الله، كانت تقول: هذا هو الأعور الدَّجَال .. هذا سبب هلاك الأمة.

كلما اقتربت من الزواج أصبحت أرى الدنيا كلها بعيون متزوج حديث يرى الازدواجية في كل شيء تقريبا ففي مناسبات معينة عندما نريد شراء سيارة لاحظنا أنها أصبحت في كل مكان وربما هي كانت كذلك قبل قرارنا بالشراء ولكننا لم نكن لنلاحظها البتة، وهكذا الحال عندما تهم بالزواج فأنت لا ترى من الدنيا إلا المتزوجين فيها أو بمعنى أفضل ترى الأشياء على شكل ثنائيات، فإذا فتحت النافذة بالصباح وجدت عصفورين على الشجرة المقابلة لداركم يتغازلان ويقفزان فرحاً لوجودهم على غصن واحد وإذا نظرت للسماء

رأيت قلوبا وكلما ترى عائلة في مكان عام تقول متى سأكون مكانهم متى
سأمشي كهذين الزوجين تحت ظلال هذه الأشجار متى سأجد من أعانقه.

كنا قد تحدثنا في نفس اليوم الذي اشترينا به المحابس وحاولت أن تعرف
مني ما هي الأكلات التي أحبها، لكي يقوموا بطبخها لنا لحظة قدومنا في
مناسبة التلبيس وهذه عادة جارية عند بعض العوائل السورية أيضا بأن يقدموا
عشاءاً لأهل العريس في يوم التلبيس، فأخبرتها بأني أحب
(اليلنجي و الباطرش) والباطرش هي طبخة يصنعها أهل مدينتهم "حماة" ولا
يطبخها أهل مدينتي "دمشق" أما اليلنجي فهو معروف و أصبح يباع معلبا
في بعض الدول العربية .. لم نتحدث كثيرا في هذه الليلة بشكل ملحوظ لا
أدري ما بها ولم تكن المكالمة طويلة وبعدما ودعتها أرسلت لي رسالة تسألني
بها إن لاحظت بأنها لم تتحدث فقلت لها نعم وأنا أرى ألا نتحدث البتة حتى
يوم التلبيس ولكني في اليوم التالي وجدت نفسي في الظهيرة أرسل لها
الرسائل وفي المساء تحن أذناي لسماع صوتها العذب وفعلا اتصلت بها
فقال لي أين الذي قال أن لا نتحدث حتى يوم التلبيس؟! فقلت لها اعذرني
لم أستطع المقاومة.

اتصل بي أحد أعز أصدقائي في تاريخ التلبيس قبل أن نتوجه لهم وقال لي
أني رأيته في منامي أمس تتيسر أمورك وتسير بخطى ثابتة نحو الزواج،
فقلت له: الله يبشرك بالخير، وقال لي: الله يتم لك على خير.

أخذت معي صحن الشوكولاه و باقة الورد الجوري المنسق بلونيه الأحمر والأبيض وشددت الرِّحال أنا وأمي وأبي إلى منزل خطيبتي وأتذكر أننا وصلنا قبل ثلث ساعة من الموعد و أخذنا ندور حول منزلها بالسيارة حتى جاء الموعد، ولا تتعجبوا إن أخبرتكم أنني قد ارتديت الملابس قبل خمس ساعات من الموعد لا أدري لماذا كل هذا الحماس !!

وصلنا المكان، أبي يحمل صحن الشوكولاه أُمي تحمل الخواتم بيدها وأنا نصف مغطى بباقة ورد كبيرة بين يدي، دخلنا الصالة وتبادلنا بعض الأحاديث وطلبوا مني أن أجلس في صدر الغرفة ولهذا دلالة عندنا على التقدير ولدينا مثل مشهور يقول "الصدورة للبدورة" وهي تعني أن صدر الغرفة لكبار القوم وتركوا المكان الذي بجانبني فارغا ففهمت لماذا يخططون وسررت في مكنون نفسي دون أن أظهر ذلك، جاءت تقى بفستانها البنفسجي الغامق والحجاب الأبيض الجميل وكأنها البدر في صدر السماء لتضيفنا القهوة وتجلس بجانبني وكنت قد هددتها مازحا قبل مجيئي أن يا ويلك إن لم تتحدثي اليوم فوجدت نفسي عاجزا عن الحديث أمام كل هذه العيون التي ثبتت علينا وتدرس وتعلق على كل حركة نقوم بها واكتفيت بسؤالها عن حالها وعن بعض الأمور البسيطة وجاء موعد التلبيس وكنا قد تحدثنا قبل يومين من تاريخه أن أُمي ستلبسها لأنني لا يحل لي أن أُمسها استدلالا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم "الصحيح" حين قال: (لأن يطعن رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له) وقد اختلف العلماء

في تحديد معنى المساس ومنهم من قال أنه اللمس، ولكن عندما أخرجت أمي الخواتم قالوا لنا هيا ألبسوا بعضكم فكل منا أصبح في غاية الخجل ولم أعد أعلم بأي الخواتم أبدأ لأنني أحضرت اثنين، سار الأمر على ما يرام حيث أنني أمسكت بالخاتم من أطرافه وأدخلته في إصبعها دون أن المسها و لبست خاتمي بنفسى لأن إصبعى كان منتفخا من ناموسة غيرة كانت قد قرصتني بالأمس فتورم إصبعى وأصبح إدخال الخاتم فيه صعبا. ملئني الإحراج وكدت أختنق من ضغط ربطة العنق على رقبتى وأحسست أن الدم ارتفع لرأسى وتوقف عن الجريان.

ومن ثم دخل جميع النساء للداخل كي يقوموا بتخضير العشاء وفي هذه الأثناء تذكر أبى أننا نسينا في المرة الماضية قراءة الفاتحة وذكّر بها عمي الذي قال له: عمرك أطول من عمري لأنى كنت سأذكرك بها، وفعلا دخل النساء ناسين الأمر كليا وقالوا لنا تفضلوا للعشاء فقال أبى وأبوها: قبل ذلك ادخلوا حتى نقرأ الفاتحة وبعدها نتعشى وفعلا قرأنا الفاتحة على نية التوفيق ودخلنا للعشاء لنرى على السفرة تشكيلة من الطبخات السورية أتذكر أنها كانت خمس أطباق أو أكثر وكان الطعام لذيذاً جداً فقالت لي أمى اطمئن فهذا أكل حماتك لذيذ، ولم تأكل تقى كثيرا في تلك الليلة حتى أخجلتني من الأكل براحتي وبعد العشاء قالوا لي أبقى معها حتى تكمل صحنها وكانوا يريدوننا أن نأخذ راحتنا في الكلام وفعلا بمجرد خروجهم بدأت الحروف تتسج

على ألسنتنا وتحدثنا وتحدثنا وأخذنا الحديث وعندما قال أهلي أن هيا
لقد تأخرنا قلت لهم بالعامية "قاعدين" أي ما زال الليل بأوله فلما لا نمضي
مزيدا من الوقت ولكن يبدو بأن النعاس غلب عاطفتهم برؤيتي مسرورا إلى
هذه الدرجة، وقرروا العودة إلى المنزل ليحظوا ببعض النوم.

كنت قد حاولت جاهدا في تلك الليلة أنا أعرف أمرين .. متى بإمكانني القدوم
لزيارتها وما هو المهر المطلوب مني والاثنتان لم أستطع الحصول عليهم
بنفس اليوم، بالنسبة للزيارة قالوا لي أهلا وسهلا بك في أي وقت والمهر قالوا
لي لا نريد أن ننقل عليك والذي تريده نقبل به، وهذا الكلام يفرح كثيرا عندما
يقول لك والد الفتاة أن المتقدم لنا رجل لا يهم ماله المهم أنه رجل على خلق
ودين نرضى به، وانتهت زيارتنا وعدنا إلى المنزل، واستطعت لاحقا أن أتفق
وإياها على مواعيد قدومي وكذلك اتصل بي الأب بعد يومين من زيارتنا
وطلب مني أن آتي إلى مكان عمله لنناقش مسألة المهر وسبحان الله كنت
في نفس اليوم في وقت متأخر في عملي بعد أن انتهى الدوام أقوم بحساب
الحد الأعلى للمهر! قد يستغرب بعض القراء مما قرأ "الحد الأعلى للمهر!"،
استشهد بتحقيق للعلامة المحدث ناصر الدين الألباني رحمه الله في رواية
خطبة عمر عن تيسير المهور وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد
حده بحد أعلاه أربعمائة درهم فضة وتنتمى الرواية أن امرأة قامت معترضة
فغيرت رأي عمر، وقد حقق الألباني رحمه الله في هذه الروايات واستنتج أن

الجزء الثاني من الرواية الخاص بالمرأة التي اعترضت: موضوع ^٩ وعلى هذا تكون أوامر عمر رضي الله عنه تشريعاً يجب أن نتبعه بناءً على ما نص عليه الحديث الصحيح برواية عن العرياض بن ساريه رضي الله عنه حين قال: "صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقل: يا رسول الله ! كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: "عليكم بالسمع والطاعة، وإن كان عبداً حبشياً ؛ فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ . وإياكم ومحدثات الأمور ؛ فإن كل بدعة ضلالة".

قمت بالبحث عن الوزن الصحيح لدرهم الفضة الإسلامي في تلك العصور ووجدت كتاباً يفصل ذلك على اختلاف الأقوال فيه وكان متوسط وزن الدرهم بحساباتي ٢,٨٥ جرام .. اتصلت بأحد بائعي الذهب وسألته عن سعر جرام الفضة وقمت بحساب الحد الأعلى للمهر لهدف أن لا أزيد عليه وأن اطلب بالتيسير إن كان الرقم المطلوب مني أعلى منه، والحمد لله كان مهري يسيراً بفضل من الله ولم يتجاوز الحد الذي وضعه عمر بن الخطاب رحمه الله، لا أبت بهذا بصحة ما قال فيه الألباني ولكن هذا اجتهاده وأنا أرى بإتباعه نفعاً للأمة التي أهلكها التكاثر بالأموال وألهاها.

^٩ مقال بعنوان (حول المهر) للعلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني دمشق ٦ / ٧ / ١٣٨١ هـ - مجلة التمدن الإسلامي (٢٨ / ٥١٤ - ٥١٩)

لا أدري لماذا يتصور بعض العرب أن الرجل يجب أن يملك قلبا من حجر وأن لا يذرف دمعة في أي مناسبة فإن فعل خلاف ذلك فهو .. ! وهذه كلها تصورات متخلفة مع احترامي لمتبنيها فالرجل بالنهاية إنسان يحمل أحاسيس ومشاعرا مثله مثل المرأة ويجب أن لا تمنعه أنانيته الذكورية من البكاء.

كحال أول فتاة تقدمت لها ولكن لم يكتب الله لنا نصيبا وتحديدا عندما اقترب الأمر من أن يصبح جديا في تلك اللحظات اضطربت منظومتي العاطفية ورأيت الدموع تههم من عيني كالمطر وكنت في المرتين في السيارة، في المرة الأولى لم أعرف لماذا بكيت ولم أستطع أن أعبر للفتاة الأولى عن شعوري وعن سبب بكائي لأنني صارحتها بذلك ولا أدري لماذا فعلت !! وعلى كل الأحوال لم يكتب لنا الله أن نكون زوجين.. أما في المرة الثانية فقد استمررت بالبكاء لمدة نصف ساعة ولكن هذه المرة كنت أحاول أن أعرف لماذا أبكي وتجلّى لي السبب ولكنني هذه المرة لم أخبر خطيبتني بأني بكيت وأيضا لا أدري لماذا قررت أن لا أخبرها ربما كنت خائفا أن يحدث شيء كما حدث في المرة الأولى وربما .. ولكن بعد أربعة أيام أرسلت لي رسالة تقول لي فيها: هل تسمح لي بالبكاء فقلت لها بالتأكيد وبحث لها بهذا السر الصغير.

امتألت الفتحاح المخصصة لكؤوس القهوة بالمناديل وأحسست بابتلال قميصي من كثرة الدموع .. صوت القارئ في مسجل السيارة يصدح بخير الكلام والرؤيا غير واضحة من فيض الدموع والأفكار تتزاحم والعقل مشوش، أتساءل مع نفسي لماذا أبكي وما الذي أثار عاطفتي إلى هذا الحد !!! فوجدت أن الاقتراب من تحمل المسؤولية هو السبب الرئيسي حيث أن مخاوفي اتجاه أي شيء ستضاعف بمجرد تواجد هذه المسؤوليات الجديدة في حياتي فيجدر بي القلق عليها وهذا حال الجميع باعتقادي فعندما تكون أعزبا لن تهتم كثيرا مثلا في ترك عملك أو في السفر لبلد آخر فأنت شخص واحد وفي أسوء الأحوال يمكنك أن تجد ما يعينك على البقاء على قيد الحياة ويمكنك أن تجد مكانا يؤويك أما عندما تصبح مسئولا بالشرع والعرف والإنسانية عن إنسانة فكل هذا المعايير ستتغير وكما ذكرت أنفا أن الخوف سيتضاعف لديك مما يسبب لك ارتباكا عاطفيا في بداية الأمر ولن تستطيع أن تقول "ما بتفرق" كما كنت تقولها سابقا، كثير من الأمور سيوضع في عين الاعتبار.

اتصل بي عمي ليناقشني بالمهر وبدأت أشعر أن الأمانة قد اقتربت مني لأحملها وبكائي لا يعبر عن عدم مقدرتي بتحمل هذه المسؤولية وإنما كان رجاءً بتضرع بيني وبين ربي فكنت أدرف الدمعات وأسأله أن يوفقني في حمل هذه المسؤولية وأسأله أن يجعلها سعيدة معي وأسأله أن يجعلنا للمتقين إماما .. ثم أبكي من جديد بحرقة وأقول يا الله لا تجعلها عقوبة لي في الدنيا

على ذنب قد فعلته بل اجعلها خير متاع الدنيا وأن تكون عوناً لي في ديني
ودنياي وعاقبة أمري، وهكذا حتى لم يبق في قلبي شيء أقوله استقرت
عواطفني وتوقف الدمع عن الفيضان وأحسست براحة لا توصف وسعادة
غامرة، أدن المؤذن لصلاة العشاء وأنا في طريقي إلى عمي فتوقفت للصلاة
ومن ثم أكملت المسيرة وتناقشنا بالمهر وأيسر علي كثيراً أيسر الله عليه في
الدنيا والآخرة وعلى كل شخص ييسر على شباب الإسلام.

للأسف كثير من الرجال هذه الأيام يحسبون أن زواج بناتهم صفقة يجب أن
تبرم بحذر شديد وكثير ما سمعت قصص من أصدقائي عندما تقدموا لخطبة
بعض الفتيات تشييب لها الرؤوس وحمدت الله أنني لم أكن في محلهم لأنني لو
كنت محلهم لما خرجت إلا بشجار مع والد الفتاة، مثال ذلك أحد أصدقائي
الذي ذهب لخطبة فتاة فبدأ أبوها يسأله عن راتبه وعن مدخراته وعن ما إذا
كان يملك بيتاً في الوطن أم لا "نظرات مادية بحتة" يا شباب إن كان حموك
مادي لهذه الدرجة قل له أن يخلل بنته في وعاء ما لأنها ستعنس مظلومة
بسبب جشعه وطمعه أو جهله الذي جعله يظن أن رفع المهر على الشاب
سيجعله يقدر زوجته لأنه دفع عليها الكثير وهذا كلام فارغ لا يقتنع به إلا
جاهل، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: " ذا أتاكم من ترضون خلقه و دينه فزوجوه، إن لا تفعلوا تكن فتنة في

الأرض و فساد عريض" ^(١٠)، فما قول الرجال في هذا الحديث ما توقعه الرسول حاصل في زماننا هذا ونراه بأمر أعيننا "فتنة في الأرض وفساد عريض" كله برقيتكم يا من ترفعون المهور يا من يأتيتكم صاحب الخلق والدين فترفضوه إما لأن ليس له نسب عزيز أو لأنه فقير وعد الله بإغنائه أو لا يملك جمال يليق بملكة الجمال التي عندهم ... لا أدري ولكنكم ستحاسبون، ويزيدني قهراً أولئك الذين يتحججون بحجة الدراسة وأن الفتاة تريد أن تكمل دراستها و أكثر أولئك الطغاة ظلماً .. آباء يعمل بناتهن فيأخذن رواتبهن ولا يزوجهن لكيلا يذهب الراتب إلى أزواجهن أو يصرف على عائلاتهن، لا أملك إلا أن أقول عليهم من الله ما يستحقوا وهداهم الله.

وفي ذلك اليوم أعطيت عمي كتاباً عن الزواج عنوانه (الزواج السعيد) ^(١١) كنت قد أنهيته في الأسبوع الفائت وقد تلقيت الكثير من السخرية من معارفي عندما كانوا يروني أقرأه ولكني لم أرى أنا إلا أنه سبب في توفيق الله عز وجل لي في زواجي وأنصح الجميع بأن يقرأ بقدر الإمكان عن الزواج قبل الخوض فيه من غير علم ولا يعتقد أحكم أن الموضوع سهل لأن نسب الطلاق في المجتمعات الإسلامية تبرز للعيان وجود فجوة كبيرة بالنسبة للوعي بالحياة الزوجية ومسؤولياتها، يستطيع معظم المسلمين تطبيق قاعدة بسيطة لتتخفف معدل الطلاق مع السنة الأولى من التطبيق إلى

^{١٠} حديث حسن، صحيح الجامع صفحة أو رقم ٢٧٠

^{١١} الزواج السعيد في ظل المودة والرحمة - للشيخ محمد زكريا المسعود (العبيكان)

النصف وهذه القاعدة تنص على "من عرف ماله وما عليه كان جديرا بألا يتجاوز حقه ولا يقصر في حق غيره"

شعرت في ذلك اليوم أنني كالطفل ببراءته وفي خوفه وعلى كل حال فالزوج يصبح طفلا عندما يدخل إلى بيته عندما يبتعد عن الحياة الحقيقة وعن حياة العمل والأصدقاء يدخل البيت ليعايش حياة خيالية يشعر بها بأنه طفل صغير وضعيف يبحث عن الحنان كأم تبحث عن طفلها الضائع في سوق كبير وهذه حقيقة سيعاني من يخالفها أو ينكرها سواء كان رجلا أم امرأة، فالذكر كان يتجرع الحنان من أمه عندما كان رضيعا وآلمه كثيرا فراق الفطام الظالم فتكونت عنده فجوة ثم اتسعت هذه الفجوة مع انصراف اهتمام الأم لإخوته الآخرين أو لبعد أمه عنه بسبب عمره وأخذت بالاتساع أكثر حينما تغرب حتى أصبح الهواء يمر من خلاله وتدارك أنه بحاجة إلى بديل عاطفي عن أمه يحنو عليه ويكي كالطفل بين يديه يبحث عن أنثى تستطيع أن تسحب شحناته السلبية وتضع مكانها أخرى إيجابية، لأنه هذا الطفل الذي يعيش بداخل كل رجل يستيقظ من وقت لآخر وبالذات عندما يكون الرجل متوترا من ضغوطات الحياة ومسؤولياتها وهو في هذه الأوقات يحتاج من زوجته أن تكون أمًا بكلماتها ولمساتها وعناقها ولا تستغربوا إن أخبرتكم أن الرجل يغار من ابنه عندما يراه يأخذ كل حنان زوجته ويتمنى في بعض الأحيان أن يكون مكان طفله ليحظى بكل تلك العواطف الجياشة، وكلما

ازداد عمر الرجل كانت حاجته للحنان أكثر، ألا تلاحظوا أن كبار السن شديدي الحساسية وقد تبكيهم أبسط الأسباب!!

حاجة المرأة إلى الرجل وحاجة الرجل إلى المرأة لا تنقضي حتى ينقضي الأجل.

كم كانت دموع خال أبي حزينة لقد تقطع قلبي حينما رأيته آخر مرة، كنا في زيارة له وكان "باركا" أي يعجز عن المشي بعد أن قطعت قدمه بسبب مرض السكر، لقد فرح كثيرا برؤيتنا ولم يكن لديه أولاد فقد كانت دموعه مزيج فرح وحزن، فرح على قدومنا وحزن على حاله، كلامه غير مفهوم وثقيل جدا ولكن لسانه حاله يقول: ربي أخرجني من سجن الدنيا .. لقد تماكنت نفسي بصعوبة في تلك الزيارة ولكني خرجت من بيتهم قبل خروج الجميع واختبأت خلف البناء وبكيت بحرقة لأنني شعرت بأنها المرة الأخيرة التي سأراه فيها، وما خاب ظني إذ توفي بعد فترة قريبة وكانت تلك الزيارة هي آخر مرة رأيته بها، تتعدد المواقف الذي يخرج بها الطفل الذي بداخلنا إلى العلن ولا أدري لماذا نحاول أن نخفيه وننكر حقيقة وجوده.

الوقوع بالحب شيء لا إرادي ولا يستطيع المرء التحكم به ولكنه وبكل بساطة يسجد نفسه فجأة واقع به ويجد قلبه أسيرا بين يديه، الحب له مقدمات كتبادل النظرات وله مسببات كاصطناع المصادفات وكثير من الناس يقع دون أن يدري أنه يغرق في مستنقع الحب، للحب أيضا علامات ومنها:

أن تفكر في هذا الشخص كثيرا في أوقات متقطعة من النهار وتجد نفسك مع الوقت تبحث عما يحبه لتحبه وعما يكره لتكرهه فتتخلى عن الكثير من الأشياء المهمة في حياتك وتبنى الكثير من الأشياء التي تكرها في ماضيك في سبيل إرضائه.

تتبسم كلما تذكرته أو ذكر اسمه شخص ما.

حينما تكون معه يمضي الوقت مسرعا فنتمناه أن يتجمد إلى الأبد وعندما يحين موعد الفراق ستختار البقاء معه وإن فارقتك أحسست بأن الوقت يمضي ببطء شديد.

كلما تراه ستشعر بشيء غريب في قلبك كشعور التأرجح على الأرجوحة والهبوط بها من أعلى مستوى .. تتزايد دقات قلبك وتحس أنه سيقفز خارج جسدك ليستقر بين يديه.

عندما تشعر بأن الحياة أصبحت بطعم آخر وتشعر بأنها امتلأت بالألوان بعد أن كانت سوداء وتشعر بأنك حي لأجل سعادته فاعلم أنك متيم به، عندما يقل معدل نومك فاعلم أنك ولهان به، عندما تدرس تحركاته اليومية وتخترع الصدف لرؤيته فاعلم أنك هيمان بحبه، وعندما تمضي الساعات برفقته وأنت لا تتحدث وتكتفي بالنظر إلى عيونه فاعلم أنك ميت فيه وعندما

يتحرر قلمك بإطلاق الإبداعات الأدبية والخواطر النثرية والرسائل الغرامية
فهذا دليل آخر على حبك له، وعندما تجد أنك تؤثره على نفسك فأنت حتما
تحبه.

إن انطويت على نفسك وانشغل خيالك به ترى به الماضي والحاضر
والمستقبل و تشعر بطاقات غريبة تغذي حياتك وتقلبها رأسا على عقب فأنت
تحبه، و عندما تتقطع أنفاسك لرؤيته وتصبح تتحدث عنه عندما تكون مع
أصدقائك أو في العمل فاعلم انك تحبه لأن المرء لا يكثر ذكر إلا من يحب.

تود سماع صوته كل يوم وتطلب منه باستمرار أن لا يفارقك ويتركك وحيدا
ولا تستغرب أبدا إن كنت تشعر بلذة وألم في وقت واحد، اللذة في سماع هذه
الكلمة من شفاه حبيبك والألم حينما تنتهد شوقا لضمه بين يديك.

تجد نفسك تعاف كل نساء الأرض ولا ترى أجمل من حبيبك خلقا وخُلقا
يمكنك أن تعرف من هذه العلامة بأنك وصلت إلى أعلى درجات الحب فقوة
الحب أعمت عيونك عن رؤية نقائصه وعيوبه لدرجة انك تشعر بأنه أكمل
الناس.

عندما تشعر بأنك أوفر الناس حظا لأنك متجه لرؤيته، متجه لمن هو
بانتظارك متجه لمن كان يفكر فيك طوال اليوم فأنت تحبه، عندما تدمن قول

كلمة "أحبك" وتضمن بالمقابل سماعها فأنت تحبه.

عندما يستوطن الآخر عقلك الباطن فهذا يعني أنك متيم مهووس بحبه ..

في أحد الأيام عندما طلبت مني حبيبتي أن لا أتصل بها لانشغالها في التحضير لامتحاناتها، لم أملك الخيار لأرفض، فوافقت مكرها لا بطل وفي تلك الليلة تقلبت كثير وحلمت بها رغم أنني قليل الحلم ومن ثم حلمت أنني أحدثها فاستيقظت من النوم لأكتشف أنه حلم ومرة ثالثة حلمت أنها أرسلت لي رسالة فاستيقظت من النوم وأمسكت بهاتفني فلم أجد شيئا وكانت ليلتي تلك ككثير من الليالي ممثلة بالهواجس التي استيقظ وأنام بسببها أكثر من أربعة مرات ..

بعد ذكرى لمقدمات ومسببات وعلامات الحب فأود أن أنوه إلى أن هناك أيضا خاتمات فلنحذر كل الحذر من أن نبدأ بمقدمات الحب إن لم نكن قادرين على صنع خاتمته، وهذا يذكرني بصديق لي أحب فتاة وأحبته لخمس سنوات عبر الإنترنت أحبها حتى دون أن يعرف شكلها، وعندما أصبح كلاهما مستعد للزواج اصطدم كل منهم برفض الأهل من الطرفين فكانت خاتمة قصة حبهم مأساوية وكان ألم قلبهم بالفراق قاسيا. الحب مارء كبير إما أن يسحقنا أو يرفعنا.

منذ أن يألف الرجل المرأة في اللقاء الأول تبدأ المودة في الظهور ويكون الحب في هذه اللحظات بذرة تحت الأرض تشرب من عواطف هذين الإنسانين، فتتفلق هذه البذرة مع الوقت وتصارع التراب حتى ترى ورقتها الأولى الشمس، فترتفع الأرض قليلا وتتشقق التربة حينما يبدأ الخطيبين بتبادل المشاعر والتلميحات وإظهار الاهتمام كل منهم بالآخر ومع الأيام يبدأ كل منهما بالتعهد وبالتفكير والسرمان لأوقات طويلة وهذه أيام وردية لكل منهم لا أعني أنهم يتوهمون ولكني أعني أنها من أجمل الأيام فتتلون حياتهم باللون الوردي "لون الرومانسية الأثوي" وتغلب عليهم السعادة في معظم الوقت، وبعد انبثاق هذه النبتة يقع الحب، وكلما كبر الحب تكبر معه هذه النبتة، فإذا أن تنمر الشجرة بعد أن يتم الزواج وإما أن تتساقط أوراقها وتموت صغيرة إن كان الحب أعوجا أو أن تموت بعد عطاء طويل، الشجرة التي ماتت صغيرة تنسى أم الأخرى فتبقى ذكرى.

في غالب الأحيان من الطبيعي أن يكون الرجل هو المبادر الأول في البوح بهذه الكلمة وقولها ليس بالأمر السهل فالرجل العاقل صاحب الضمير لا يقولها لفئة إلا إن تأكد أن خواتيم الحب ستكون سعيدة وأنه سيكون لها زوجا لأن بوحه بهذه الكلمة تحديدا يكون كالنذر، فإذا استطاع الرجل تحرير قيد لسانه وسمح له بأن ينطق بهذه الحروف الثقيلة (أ - ح - ب - ك) وأنه على نطقها بالذات فكتابتها على ورقة أو في رسالة أو في بريد إلكتروني أمر

سهل ولكن نطقها من اللسان هو الأمر الأصعب، وبعد كثير من التثهد والتلعثم والتردد والسكوت الطويل تخرج هذه الكلمة بحروف متصلة وبصوت منخفض مرتجف (أحبك) وفي هذه اللحظة تنبتق شتلة شجرة الحب لترى النور لأول مرة وتبدأ جذورها بالامتداد في الأرض لتثبت نفسها في وجه رياح الاختلاف وميكروبات الحساد وطفيليات الشيطان وتستمر بالنمو شيئاً فشيئاً وتشد ساقها وتكبر أوراقها وتزهو وتثمر بإذن الله والثمار تحتوي في مكنونها على بذور حب أخرى تقع على الأرض ليغمرها التراب ولتنام في سبات طويل حتى يأتي قدرها فتسقى من نبع انفجر من النقاء عاطفتين.

وأما الزوجان فيكبران معا ويعيشان الحلوة والمرة ولا يتمنى أحدهم أن يفارق الآخر ولكن الموت يفرقهم وتبدأ هذه النبتة الجميلة التي كانت تقف بوجه أي شيء بالذبول شيئاً فشيئاً حتى تموت هي الأخرى وتترك الدور للبذور التي سقطت منها ليخوضوا بدورهم نفس الدور وهذه سنة الحياة.

بعد خروج هذه الكلمة من الرجل تبدأ الأنثى هي الأخرى بالمحاولة بصعوبة ولكنها ستبوح بها بالنهاية .. يوما ما ستبوح بها، عندما يسمع الرجل هذه الكلمة لأول مرة من الفتاة ويحس بصدق ودفى مشاعرها اتجاهه يطير من الفرح ويمتلئ قوة ونشاطا وكأنه أشبع جانباً فطرياً فيه كان كالناقوس يدق منذ سنين دون أن يسمعه أحد ..

هكذا بدأت قصة كل بنو آدم بكلمة أحبك وهكذا حافظ ابن آدم على نسله
وكأنني أرى أن هذه الكلمة هي سر من أسرار الحياة البشرية .. وأما عن وقت
البوح بها فليس هناك من وقت وليس بالضرورة أن تكون بعد كتب الكتاب
"عقد النكاح" كما يظن البعض ولكن أن تقولها بعد عقد نكاحك فهذا حتما
أفضل، أما أنا فلم أستطع الصبر إلى يوم عقد النكاح لأنني أحسست بحرارة
مشاعر متبادلة وأحسست بالتيسير المطلق من الله وتفاعلت بأن كل شيء
سيمضي على خير ما يرام .. فبحث لها بحبي وسمعت بوحها في نفس اليوم
فطرت من الفرح..

ولهذا أتذكر التحذيرات التي سمعتها من بعض الناس أن لا تبوح بعواطفك
في أيام الخطوبة واكتفي بإبداء الإعجاب وهم بذلك يعلنون أن الخطوبة لها
سقف من المشاعر ينبغي أن لا يتعداه كل من الرجل والمرأة وإن فعل فيجب
عليه الانتقال سريعا إلى مرحلة العقد، ولهذا كنت أعرف قدرة نفسي فطلبت
أن تكون مدة الخطوبة حتى عقد النكاح شهرا واحداً، ليس لأنني أقع بالحب
بسهولة ولكني إن وقعت شابته صخرة تسقط من جبل شاهق وقد شعرت
باختلال توازني على قمة هذا الجبل من الزيارة الأولى.

كلمة أحبك تتدرج بتأثيرها على كل طرف بحسب موقعها فهي تبدأ قوية
حينما تكتب برسالة أو على ورقة أو كرسالة نصية بالجوال ويكون وقعها
أقوى حينما تسمع صوتا ويكون صداها أعلى حينما يكون المتحابان مواجهان

وجها لوجه، وكم هي جميلة حينما يكونا على سرير واحد فتهمس هذه الكلمة في أذن الآخر الذي يشعر بالأنفاس تجري على أذنه وماذا عن قولها بعد العناق بكلتا اليدين!! حالات كثيرة التي تستدعي قول هذه الكلمة التي أشعر أحيانا أن المرء لا يعيش إلا لسماعها..

توجهت في أحد الأيام إلى بيت عمي لألبي دعوة العشاء وعند حضور العشاء أفحموني بالتنوع وبالذات بطبق قل ما يحضره السوريون بسبب صعوبة صنعه، وهي "الحفاتي والأبوات"^(١٢) بلهجة أهل دمشق .. تمنيت في تلك اللحظة أن ينطبق المثل القائل "طب الجرة على تمها بتطلع البنت لأمها" وهو يعني أنه مهما دار الزمان ستكون البنت نسخة عن أمها في كل شيء.. كعادتها تقى لم تأكل شيئا في تلك الليلة وعذر اليوم أن بطنها يؤلمها، في ذلك اليوم حدث ما لم أكن أتوقعه .. حدث بيننا الخلاف الأول .. رغم تيقني بأن الخلافات حاصلة لا محالة اصطدمت وبدأت الحياة الوردية التي يصورها الحب تتلون بشيء من الواقعية رغم أن الخلاف بسيط يظن كلا من الطرفين ظن سوء بالآخر لأن يضع نفسه في مرتبة الأحق بأن يلبي طلبه أو على الأقل أن يكون التبرير مقنعا إن لم يتم تليينه ..

كنت في ذلك اليوم متلهف بفضول أن أراها تضع النظارات عندما اكتشفت مؤخرا أن لديها ضعف نظر وهي لا تريد أن تضعها ظننا منها أن ستصبح

^{١٢} طبق سوري : أمعاء الخراف المنظفة جيدا، يتم حشوها بالرز واللحم ومن ثم طبخها، أهل مدينة حماة يسمونها بالسخاتير وتتعدد الأسماء.

بشعة في نظري وأنا أبيت إلا أن أراها وتدخل والدها فوضعتها بالنهاية رافعة العتب فقط ولم تنظر في عياني عندما وضعتها ولم تطيل مدة وضعها .. فور خروجي ذلك اليوم أرسلت لها رسالة أعبر فيها عن انزعاجي من تصرفها .. وهي ردت بنفس الشيء ونمنا ذلك اليوم دون أن نحدث بعضنا كما جرت العادة وفي صباح اليوم التالي اكتشف كل منا أننا نمنا ونحن مكسوري خاطر كل منا مهموم لأنه سبب الحزن للآخر وطلبت مني السماح فقلت لها أنني قد سامحتها من الأمس وكيف لا يكون هناك تسامح بين المحبين؟ أين هو الحب إذا؟

نسق والدها بحركة ذكية لقاء لنا في أحد الأسواق ولم أكذب خبرا ولبيت الدعوة وذهبت إليهم وهناك أعطتني هدية يتعلق بها ورقة وردية يبدو بأنها رسالة .. وأصرت أن لا أفتح أي شيء إلا في المنزل فلبيتها في ذلك وكان أهم أحداث ذلك اليوم أنني سمعت منها كلمت أحبك.

وقالتها أخيرا قبل موعد كتب الكتاب بأربعة أيام وحررت قلبي الأسير المقيد بسلاسل ضخمة مفتاحها كلمة تخرج بنبرة مميزة من حنجرتها الصغيرة، اتفقت ذاك اليوم مع والدها على أن نلتقي في السوق وبعد اللقاء كان أهلها يقتنصون الفرص ليتركونا لوحدها لأننا ألسنتنا كانت تتعقد إن كانوا حولنا وبالذات إن كانوا قريبين، في هذه اللحظات كنت أستغل الفرصة وأردد لها أحبك .. أحبك لعلها تردها لي بالمقابل ولكن احمرار وجنتها كان كافيا ليعبر

عن عدم قدرتها على نطقها و كم أضحكتني عندما اقترب والدها منا فقالت لي بخلسة وخوف: اقترب أبي اقترب أبي فقلت لها وهل نقوم بفعل خاطئ .. أم أني أقبلك وتريدي تنبيهي أم ماذا .. وفعلت نفس الشيء معها عندما اقتربت أمها فقلت اقتربت أمك اقتربت أمك فأخذت هي بالضحك هذه المرة وبهذا أرى أسلوبا تربويا رائعا يتجسد في تقليد أي تصرف كان سيئا أو جيدا لتشعر الطرف الآخر بوقع تصرفه على النفس، فإن كان جيدا كرّره وإن كان سيئا حاول أن لا يكرره مرة أخرى احترام لشعور شريكه.

بعد بضعة محاولات مني وتكرار كلمة أحبك لها كانت تنتظر إلى الطاولة مطأطئة الرأس يكبحها الحياء والخجل وقالت لي وأنا أيضا .. ثم تصمت فأقول لها أحبك فتقول مجددا وأنا أيضا .. ثم تصمت فأقول لها أحبك ولكن كانت المرة الثالثة حاسمة حينما قالت: وأنا أيضا أحبك .. لا أظن أني كنت بحياتي منصت بكل حواسي أكثر من هذه اللحظة ..

تحررت القيود وأردت السجود شكرا للواحد المعبود وكأني أنتظر هذه الكلمة منذ عقود وحظيت بها بفضل الحميد بعد صبر مديد و إرادة من حديد .. سمعتها أخيرا "بالحلال".



-٨-

رسائل الحب

هي مرحلة غرامية يعيش فيها كلٌّ من العروسين يبدأ كل منهما بالتعبير بطلاقة مستخدماً القلم الورقة لا يمنعه حاجز الخجل كما كان يمنعه عندما كان يواجه حبيبته وجهاً لوجه أو عندما يسمع صوته، فينطلق بقلمه ليبدع به كلمات أدبية لا تخرج إلا من قلب عاشق .. يستعين بالقواميس العربية ليطف على رسائله لمسة أدبية، هكذا يفعل الجميع ولكن إياكم أن تسرقوا أفكاراً وتعبيراً من رسائل أشخاص آخرين لأنكم إن فعلتم ذلك فاعلموا أنكم لا تحبون من كل قلبكم وإن عجزتم عن الكتابة فاعلموا أن هناك مشكلة، لأنه لا يوجد أحد لا يمكنه أن يقدم نوعاً من هذه الرسائل كتابية كانت أو لفظية حتى ولو كان أمياً وهو بسرقة لأعمال آخرين يشكل عاطفة زائفة من السهل أن تذهب مع الريح في أي لحظة لأنها لم تبنى على صدق المشاعر والعواطف، وغالباً ما تكون هذه الرسائل بين الخطيبين على شكل صد ورد فهو يكتب فتد عليه وهي تكتب فيرد عليها .. إلى ما شاء الله. كنا قد اتفقنا يوم التلبيس بأن نبدأ بالكتابة لبعضنا، فإذا كان الزواج مراحل فلكل مرحلة من المراحل طعمها الخاص، واللحظات التي يعيشها الخطيبان

بين سطور وكلمات وحروف رسائل الحب التي يتبادلونها تشابه قطرات ماء تبخرت من البحر وحلقت إلى السماء ومن ثم اندمجت لتشكّل غيوما و هطلت من جديد كدورات حياة قصيرة لا تنتهي، يتمنى بها المرء أن يبقى إلى الأبد دون أن يتقدم إلى مراحل أخرى.

عادة ما تكون الرسائل بين المتباعدين أكثر منها بين المتقاربين ومع وسائل التكنولوجيا المتوفرة حديثا ومع تغير هذا الجيل إلى حب ما هو سريع وحب الجاهز فاضمحل هذا الجانب من العلاقات العاطفية واقترب من الانقراض فعلى محبي القديم النديم وعلى الكلاسيكيين أن يحيوه من جديد .. هذا ما لحظته في علاقتنا في الهواتف اليومية التي كانت بيننا والتي كان متوسطها في اليوم يتجاوز الساعة فلم يعد هناك فيض من المشاعر ليتجسد في حبر على ورق فكانت الرسائل قليلة.

رسالة المهر:

كانت أول رسالة كتبتها عندما حدد عمي لي المهر وضعته في مغلف بريدي أبيض وأرفقته معه رسالة لعمي ورسالة لخطيبيتي بخط يدي على ورقة وردية "لونها المفضل"، أنصح كل رجل أن يخط مثلها لخطيبته عندما يعطيها مهرها كان نصها:

"بسم الله الرحمن الرحيم

خطيبتي تقى كان لي الشرف اليوم أن أعطي أهلك المهر الذي اتفقنا عليه
آنفا، وددت أن أرفق بعضا من الكلمات لكى: إن المهر ليس أداة قياس تقاس
بها المرأة أو تسعر بها كما يظن البعض، ولو كان ذلك صحيح لما استطعت
جمع مهرك ما حييت لأنك كامرأة صالحة إن شاء الله (وصى بها الرسول
صلى الله عليه وسلم) لا تقدرى بثمن.
فلا تفرحي بمهرك وتفاخري به أمام الناس إن كان كثيرا.
ولا تحزني وتخجلي من ذكره إن كان قليلا بنظرك.
ولتفخري دائما بأن الله قد رزقك ببعل صالح إن شاء الله، سيقدر على حمل
الأمانة التي استودعها والدك عنده .. أسأل الله العلي القدير أن أكون عند
حسن ظنكم بي، وأسأله أن يتم لنا على خير وأن يرزقنا زينة الحياة الدنيا
ويثبتنا على دينه ويجعلنا للمتقين إماما. زوجك إن شاء الله

الرسالة الأولى:

بسم الله الرحمن الرحيم .. خطيبتني تقى

هي هكذا البدايات تكون دائما صعبة ولكن كل شيء بعدها يهون إن شاء الله، لا أخفي عليك أن كثيرا من الأوراق تراكمت أمامي لكوني كنت أكتب ثم أغير رأي ثم أكتب ثم أغير رأي من جديد احترما للرسالة الأولى، ولكن كم هو جميل أن يترك الشخص المسؤولية لعواطفه لتتسج بالقلم بعضا من التطريزات الرقيقة، فهذا قلمي الأزرق والورقة الوردية جمعتهم كالنقيضان فلون تكريه والآخر تحبيه .. كان مزجهم لغاية في نفسي و لربما كان لهذا المزج وقع خاص على عينيك ..

خطيبتني تقى لقد أضناني الشوق وعذبني كبت المشاعر وأتعبني الانتظار .. انتظار الوقت الذي تصبحين فيه لي زوجة على سنة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأصبح أناديك بزوجتي بدلا من خطيبتني وأتغزل بكل شيء بك كما يحلو لي، أتعبني الانتظار لأنني أحس أن الوقت يتآمر علي بطريقة غريبة فعندما أكون معك يمضي بسرعة ولا يعطيني أي اعتبار وعندما أعود وحيدا يطول كثيرا.

خطيبتني تقى، ألفتك روحي منذ اللقاء الأول وأحسست وكأنني أعرفك وشاء الله أن تكوني أجمل امرأة في عياني ولو أجمع كل سكان المعمورة على عكس

ذلك فلن أهتم وكل يوم أدعوا ربي أن يزيد حبك في قلبي ويزيدك جمالا في عيني وأن يتم لنا على خير، واعذريني إن خانني التعبير ولم أكتب الكثير مع أنني أؤمن أن كلمات الحب تتدفق من نبع لا ينضب، بالأمس بحث لكي بحبي، بالأمس وضعت حجر الأساس وبالأمس طرقت باب قلبك وبحثت عن مكان لي فوجدت غرفة مغلقة خصصت لزوج المستقبل فطرقت الباب وها أنا أنتظر الجواب.

خطيبك .. الثالثة والنصف عصر يوم الثلاثاء، ٢٠ ربيع الأول لعام ١٤٣٠ للهجرة

رسالتها الأولى:

كانت تقى قد كتبت رسالتها قبلي بيوم وعندما وصلتني رسالتها كنت أنا قد انتهيت من رسالتي ويبدو بأنها قرأت أفكاري وأجابت على رسالتي دون أن تقرأها:

" ها قد أتى "

ها قد أتى من غير لي حياتي كلها .. قد أتى من أثق به تلك الثقة العمياء
ها قد أتى من ينصحتني ويساعدني قد أتى من يسمح لي دمعتي
ها قد أتى من يستمع إلى همومي ومشاكلي .. قد أتى من يتحمل أعبائي
ونفقتي

ها قد أتى من يعطيني ذلك الحب الصادق الذي لطالما انتظرتة ..
ها قد أتى من يعطيني القوة والثقة بالنفس ..
ها قد أتى من غير لي طريقة تفكيري وكلامي...
ها قد أتى من يعطيني الدفء والحنان ... ؛
ها قد أتى من كنت انتظره منذ زمن بعيد.....؛
وها هو قد أتى.....؛

كنت قد عاهدت نفسي من قبل أن انتظر الحب حتى يأتي لا أن أبحث عنه

أن انتظر شخصا بقوته وشخصيته ورجولته يحمل بين أضلاعه وعضلاته
ذلك القلب الصغير، يحمل الكثير من الحب هذا يحبني قلبه
إن صدق ذاك الحب النابع من ذلك القلب فسأبدله بنفس المشاعر إن لم
يكن أكثر

لكن .. كان هو أسبق مني في التعبير عن ما في نفسه من كلمات رقيقة
لكن المعنى واحد حينها علمت أن كلانا يريد ذاك الحب بل محتاج له
والحمد لله الذي جمعنا على خير وبالحلال مع بعضنا
أقصد جمع قلوبنا الصغيرين الذي يحتاج كل منهما لحب القلب الآخر
وأرجو من الله جل وعلا أن أكون قادرة تحمل المسؤولية في هذه المرحلة
الجديدة في حياتي
وأن أستطيع أن أوفر له كل حاجاته ومتطلباته كزوج وكحبيب معا

مازلنا في أول الطريق فاسأل الله أن يتم لنا على خير وأن أكون عند حسن

ظنه

خطيبتك

رسالتي الثانية:

بسم الله الرحمن الرحيم

خطيبتي تقى .. . شكرا لكي

لقد فتح قلبك الصغير باب تلك الحجرة على مصراعيه معلنا ترحيبه وتأهيله

بي كضيف ومن ثم طلب مني الإقامة الدائمة !!

فما رفضت البتة وكان هذا من دواعي سروري فأرجوا من الله أن لا أكون

ضيفا ثقيلا.

تداعبني العواطف وتدفعني لأطلق العنان لقلمي فأكبحها بقبضتي فتنفلت ثم

أكبحها مرة أخرى فتنفلت،

لربما استطعت أن أكابد شهوتي من قبل ضد الحرام ولكني الآن لا أستطيع

مكابدتها لما هو حلال .. أحبك من أعماق قلبي، ألا يحق لي أن أتغزل

بكي ؟! يا ربي لك الحمد على هذه الهبة التي انتظرتها منذ سنين .. أقولها

كل يوم منذ لقائنا الأول.

خطيبتي تقى.

إن كنت أسكن قلبك فأنت في حواشي الخمسة تسكني،

في مسمعي اسمك يتردد من صدى نفسي المتشوقة،
وفي لمسي لكل ناعم ذكرى لأنوثتك الغامضة،
وفي مرآي لا أرى إلا عيونك الساحرة،
وفي اللسان أذوق مرارة البعد القاتلة،
وأنفي يلتمس شذاك وتاهت من بعدهم حاستي السادسة ..
المخلص لكي، خطيبك وحبيبك.

رسالتي الثالثة:

بسم الله الرحمن الرحيم
خطيبتي تقى .. كوني لي عونا
بالكاد أنا ملتزم و أدعوا الله الثبات وأسأله قلبا منتظما، لا يتأثر بالمغريات
وعن هوى النفس منصرم.
غريب بالتزامي وحيد الدرب منهزم
اخترتك لتكوني معي في كل وقت فتتسني وحشة الغريبتين غربة الوطن
وغربة الاختلاف
وطوبى للغرباء كان وعدا من رب السماء المؤخر والمقدم.
أسأل ربي دائما أن يجعل حبيبي بمعنى اسمه متسم.
ملكك ومحل التقوى في قلبي محفوظ لا ينعدم.
فكوني لي عونا بالدنيا وللآخرة لعل أعمالنا بالخير تخدم.

وكوني لي عوناً لأحفظ القرآن وأعمل به ولآياته متدبر منسجم.
وكوني لي عوناً لنربي جيلاً فاتحاً لا يهاب الموت كالمعتصم.
في حب الله ورسوله وعلى حب الصحابة والسلف الصالح ينفطم.
بالنهاية عذراً عن لسانى الساكت عن كل شيء إلا عن الحب لا ينكتم أحبك
الآن وفي رجولتي وحين ما أصبح عجوزاً هرم.
هذا ما استطعت نثره وما في جعبتي من جوامع الكلم.
زوجك إن شاء الله - المهند

- انقطاع عن التراسل ..

كنت أنتظر منها أن ترد برسالة، بحيث يكون التراسل على شكل صد ورد
ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه وكنت أحدثها لماذا لا تكتبين لي فقالت
لي مهند أنت أفضل مني بكثير فأنت قرأت كثيراً وتعرف كيف تكتب أما أنا
فلا أعرف شيئاً ... فقلت لها إن كلام الحب والمشاعر لا يقيم كما يقيم كلام
الشاعر وما يخرج من القلب يدخل إلى القلب.

تبقي صدى جملتها "مهند أنت أفضل مني" يتردى في جمجمتي حتى حدثتها
ذات يوم عن نفسي عندما كنت بعمرها .. قلت لها أنت تتظرين إلي الآن
ولكن هل فكرتي أن تتظري لي عندما كنت بعمرك ؟ فقالت لي ماذا تعني،
قلت لها تقى عندما كنت بعمرك كنت أستعين بأحد ما ليكتب لي ما أريد
وكنت لم أقرأ بعد أي كتاب منذ ولدت فهذا لا يعني حتمية بقائي على نفس
الوتيرة إلى آخر حياتي فقدت بدأت بالقراءة وبدأت شخصيتي وتفكري يتغيران

مع كل كتاب أنهيه، لقد كان لكل كتاب بصمة خاصة علي، فأرجو أن تبديني بالقراءة وسأساعدك في ذلك، فإن وجدنا أنفسنا بالمستقبل القريب أو البعيد بعيدين أشد البعد عن ما ننوي تحقيقه يجب أن نساعد بعضنا ونحفز بعضا معنويا وماديا حتى ولو قلت لكي أريد أن أصل إلى القمر فقول لي نعم تستطيع ولنعمل معا على ذلك حتى أصل له وأنا أعدك بنفس الأمر، ولم أكذب خبرا فبمجرد أنني عرفت بأن لديها موهبة في الرسم، اشتريت لها مرسما ووضعتة في غرفتي حتى أنقله لاحقا عندما نتقل إلى بيت جديد.

أفراح وأحزان: كلمات خطبتها على ظهر تقرير فحص عينة من دمي لأجل التبرع بالدم لصديق لي في حالة لا تتمناها للأعداء، أعطوني هذا التقرير ليخبروني أن نسبة كريات الدم البيضاء عالية عندي ولا أستطيع التبرع فامتزج فرح العطاء بحزن عدم الموافقة على سحب دمي. أفراح وأتراح .. هي هكذا الحياة، كنت منذ أسبوع قد خططت لتلبية دعوة عشاء من بيت أهل زوجتي ولكن قبل يومين من الموعد رن هاتفي حاملا معه نوعا من أسرع الأخبار انتقالا " الخبر السيئ" مشيعا لي خبر حادث وقع لصديقي وأنه بحاجة إلى عملية مستعجلة، فاعتذرت من عمي وخطيبتني وأخبرتهم أنني بنفس اليوم يجب أن أذهب إلى صديقي لعيادته قبل دخول العملية.

شددنا الرحال من الرياض إلى الخبر ونحن نفكر معظم الوقت في مدى

الضرر الحاصل لصديقنا لأنه قد اصطدم بشاحنة من الخلف على سرعة تتأطح المائة.

أفراح و أحزان عندما تتصادم مع بعضها بنفس اليوم يصاب الإنسان بانفصام عاطفي، فرح بحبيبي حزين لصديقي أتذكرها تارة وأتذكره تارة، وصلنا الخبر وانتظرناه عند المستشفى الذي يفترض أنه سينقل له ووصلت سيارة الإسعاف ورفض المستشفى استقباله لنقص في الأوراق من المستشفى المرسل منه وكنت في قمة الغضب لهذا التعامل وبعد أن تفحصه الطبيب وتأكد أن حالته مستقرة ولن يموت على فراشهم وافقوا على إدخاله بعد دفع ٢٠ % من قيمة العملية .. لقد أصبح الطب وظيفية حيوانية بدلا من إنسانية تتعامل مع مال الإنسان مع احترامي للأطباء الذين يحملون في نفوسهم بعض الإنسانية ولكني أشك أن في عالمنا عربي وجود أطباء يعالجون الناس بهدف إنساني سامي لا يأخذون منه قرشا وحدا إلا من رحم ربي، أدخلوه إلى غرفة ظننا بأنها للكلاب ومن ثم بعد بضعة هواتف نصفها بفيثامين "واو" نقلوه إلى غرفة أخرى أفضل .. أتأمل في الغرفة .. في جدرانها الصماء أحس وكأنها تعكس أشياء كثيرة في أعماقها وأن تاريخها يحمل الدموع والقهقهة بين أهل يكون على فقيد وآخرون فرحون لتشافى قريب، في ذلك اليوم جلسنا معه حتى وقت متأخر ثم خرجنا للعشاء وكانت عملياته في اليوم التالي.

بعد العشاء قررنا الذهاب إلى شاطئ البحر واخترنا كورنيش الدمام عوضا عن كورنيش الخبر .. كم أحب البحر وكم أحن إليه ليس لأنه بعيد عني وحسب بل لأن أغلب عطلنا الصيفية كانت بعيدة عنه بقدر الإمكان بسبب الفوبيا التي تشكلت عنه في عقل أُمِّي وأنا لا ألومها فمن يرى ابن خالته يغرق بأمه عينيه فسيخاف حتما من الاقتراب من البحر وسيكرر هذا المشهد أمام عينيه كلما رأى البحر أو اشم رائحته أو سمع صوت أمواجه أو حتى شعر برطوبته، كان ما شاهدته أُمِّي قصة قديمة ومؤسفة تجمع أيضا بين الفرح والحزن، كانوا في رحلة صيفية إلى أحد الشواطئ في سوريا "شاطئ مدينة طرطوس" وبينما كان الأولاد يسبحون سمعوا أحدهم يستجد ويدور وينسحب للأسفل ليتداركوا أنها دوامة تلتهم كل من يعترض طريقها فهب ابن خالة أُمِّي لإنقاذ أخوه الذي يغرق ونجح في سحبه من الدوامة بعد عناء كبير أنهك قواه ففرح الجميع بهذا ولكنه أخذوا بالبكاء عندما لاحظوا أن الذي أنقذه أخذ مكانه في الدوامة بعد أن تهالكت قواه من إنقاذ أخيه وللأسف غرق الذي أنقذه ونجا المريض!! الذي نجا كان مريضا عقليا ولا اعتراض على قدر الله والحمد لله أن كانت خاتمته بإنقاذ روح وأن مات كشهيد لأنه غرق ومن ذاك اليوم وأُمِّي لا تستطيع رؤية البحر .

وصلنا إلى الكورنيش بعد العشاء وكان يفصل بيننا وبين البحر جرف صخري اصطناعي يصل ارتفاعه إلى ثلاثة أمتار فأبيت إلا أن أنزل إلى البحر وأصافحه بيدي، بحذر شديد حاولت النزول خشية من الصخور

المكتسبة بخضرة لزجة اكتسبتها من الطحالب التي اتخذت من الصخور مستقرا لها وبالنهاية وصلت إلى الشاطئ وأول ما فعلته أن التقطت حجرا محدبا من الأرض ورسمت على ذاك المكان قلبا كبيرا يتخلله سهم وكتبت الحرف الأول من اسمها T في أعلى الزاوية اليمنى الحرف الأول من اسمي M في أدنى الزاوية اليسرى رغم أنني متيقن أن البحر في اليوم التالي سيثور موجه ليلتهم القلب دون أي تقدير لهذه العلاقة المقدسة وسيخفي الذكرى التي أحاول تخليدها على رمل ذلك الشاطئ ولكن لم يعد يهمن أمر اختفاء القلب غدا بقدر ما كان يهمن أن أمر بعد سنة أو سنتين أنا وزوجتي وأقول لها حبيبتي في هذه البقعة تحديدا خلدت ذكرى حبنا بطريقة جنونية ثم سأرسم قلبا جديدا وأجلس فيه بجوارها نتأمل البحر ونعانق الأبدية. قمت بجمع بعض الذكريات من الشاطئ لأرفقها في رسالة نويت أن أخطها لها وكنت واثقا أن كلمات هذه الرسالة ستهطل على خاطري كالمنطر بعد رؤية هذا المنظر الجميل الذي يدفع الكاتب للكتابة دون توقف، قمت بخلع حذائي وأخذت بالسير داخل البحر ذهابا وإيابا .. حتى قاطعني صوت الشباب معلنين وقت العودة.

تركنا الشاطئ خلفنا وتوجهنا للنوم وكان المطر يغسل درن الجو وغبار، استيقظنا صباحا على المطر أيضا ولم أنسى البتة كلما رأيت مطرا أن أدعوا الله أن يتم لي على خير وأن يزيد حبنا لبعضنا البعض كل يوم، استيقظنا ونحن بكامل نشاطنا وكان الجو جميل جدا ولو أتيت لي أن أنزل في كل سنة

في أول نيسان إلى الخبر لفعلت فالجو كان ساحرا وأحسست في ذلك اليوم أني جالس على قمة جبل قاسيون^(١٣)، نمنا فقط أربعة ساعات ولكننا إحساسنا كان يوحي لنا بأننا نمنا أكثر من ثمانية ساعات بسبب الراحة التي شعرنا بها عندما استيقظنا وكل ذلك كان يرجع لنقاوة الهواء الذي غُسلت خُطاياه بمطر الأمس واليوم وإلى برودة الجو كانت تخالجها رطوبة بحرية مؤنسة، استيقظت قبل الجميع لأتقيّد بعادة عربيّة قديمة وهي أكل الفول في صباح يوم الجمعة أحضرت لهم الفول والفلافل والحمص والكبدية وبينما كنت أنسقمهم على الطاولة انتبهت أنا كلا صاحبي قد استيقظا من النوم وكل منهم قد استحوذ على حمام ليخرج ما يأسره من الراحة .. فطرنا ثم تحركنا إلى صديقنا معاذ لنودعه في الساعتين الأخيرتين قبل العملية .. كم كان المشهد مؤثرا وكان يشكر كلاً منا على قدومه ويذكر محاسن كل شخص بنا وفضله عليه وكأنه وهو على هذا السرير يتنفس أنفاسه الأخيرة وأذكر أنه طلب ورقة وقلم ليخط عليها ديونه كي يفيا أهله له في حال أخذ الله أمانته إلى هذه اللحظة كنت ما زلت متماسكا تتقاذفني العبرات من حال إلى حال واحتقنت حنجرتي من كثرة الكبت حتى قال .. سامحوني يا شباب وهنا تفجر وجهي بعيون من الدموع و أعطيت أصدقائي ظهري واختلست كالسارق بعض المناديل أخفي بها دموعي أحسست بشكل أو بآخر أنني أقف أمام الله يحاسبني على ما فعلت وتذكرت تحديدا حديث المفلس الذي ورد أبي هريرة

^{١٣} وهو من أشهر الجبال في دمشق لأنه يمثل جزءا كبيرا من مدينة دمشق، ويقصده الناس لأنه جوه جميل ولأنه يكشف مدينة دمشق بكاملها.

رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال: إن المفلس من أمتي، يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا . فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته . فإن فنيت حسناته، قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه . ثم طرح في النار" (١٤). فسامحته على كل شيء وحملت هم أن يسامحني الناس فيا قارئ هذه الكلمات سامحني وكما كظمتكم غيظكم عن خطأ ما أكملوا معروفكم وأعفوا فإن لم تستطيعوا تخیلوا الذي أمامكم على فراش الموت يتعلق بالحسنة كالغريق الذي يتعلق بقشة، أعدكم أن قلوبكم سترق لمنظره وتسامحوه فوراً على كل شيء ..

اقترب موعد العملية وأنزلوه إلى غرفة العمليات وقبل أن يدخلوه طلب من الدكتور أنه يريد أن يودعنا قبل الدخول وهنا لم أتمالك نفسي مجدداً وانهمرت دموعي، فالعملية تتطلب إبعاد أجزاء من فقرة مهشمة عن الحبل الشوكي وترميمها ببعض الخزعات من عظام لوح الحوض وتثبيت فقرتين من فوقها وفقرتين من تحتها بأسياخ حديدية وصفائح معدنية، جراحة استمرت لتسع ساعات وبإشراف أربعة جراحين والحمد لله أنها نجحت بالنهاية ..

تركنا الخبر بعد أن ودعناه لدخول العملية وعلى الطريق دعونا له بالشفاء وكان النعاس يصارعني ولكن ما إن تذكرت حبيبتي حتى راودني شعور

^{١٤} رواه مسلم

غريب وقررت أن أكتب لها رسالة فلم أجد ورقا .. لم أجد إلا منديلا ورقيا من
أحد المقاهي .. وانطلقت يدي تراقص القلم فوق المسرح الأبيض الناعم
لتصنع المشهد التالي:

"بسم الله الرحمن الرحيم

خطيبتني تقى ..

عذرا منك فلم أجد شيء أكتب عليه إلا هذا المنديل الذي حصلت عليه من
أحد مقاهي القهوة على طريق رجوعنا من الخبر إلى الرياض.
الأحاسيس والخواطر ليست شيئا أستطيع استحضاره وقتما أشاء فأمسكت
بالمنديل وبدأت بخط خواطري عليه ووضعت لكي به ذكرى من الشاطئ.
على ذلك الشاطئ وفي زاوية يصعب الوصول لها بسبب حاجز صخري
صناعي وعلى تلك الرمال الناعمة رسمت قلبا كبيرا وضعت على زواياه
الحروف الأولى من أسمائنا ..

ومشيت أنظر خلفي إلى القلب لأرى آثار قدمي، كنت أتمنى بنفس اللحظة
أن أرى آثار قدميك بجانبها كم تمنيت أن تكوني بجانبني في تلك الليلة.
كم تمنيت أن اجلس سويا داخل ذلك القلب الذي رسمته .. نعانق بعضنا
ونتأمل بالبحر وننظر إلى لا نهايته على أنه لون من ألوان حبنا اللامحدود
واللانهائي ..

ولعلنا نكون سويا يوما ما على نفس الشاطئ وفي نفس البقعة لأقول لك
حينها حبيبتي هنا رسمت ذلك القلب وهنا كنت وحيدا أتمناك لو كنت

بجانبني .

وكم أني كنت أحبك في تلك اللحظة وكم أنا أحبك في هذه اللحظة وكم
سأحبك في اللحظات القادمة .. زوجك إن شاء "

رسالتها الثانية:

"بسم الله الرحمن الرحيم

إلى زوجي الغالي ..

هذه أول رسالة أخطها بيدي إليك "لأن السابقة كانت بريدا إلكترونيا"، وأنا لا
أعرف وأريد أن أعرف مقدار السعادة التي أنت بها الآن .. لا أعرف بماذا
أبدأ وماذا أكتب ..

أولا أود أن أشكرك حبيبي المهند من كل قلبي على كل هداياك وعلى ذوقك
الرفيع في انتقاء تلك الهدايا الرائعة.

ثانيا أريدك أن تتسى كل ما جرى بالأمس الجيد والسيئ، أريدك أن تتذكر
فقط كل ما هو جميل بيننا .. وأتمنى أن أكون بجانبك وأدخل ذلك القلب
الذي رسمته على ذلك الشاطئ يوما ما ..

وعلى فكرة لم يهن على أبي أن تخرج من عندي وأنت منزعج وحزين .. وأنا
أيضا لم يهن علي أبدا لذلك حضنت وسادتي واستلقيت على سريري وأنا

أبكي وكنت حزينة جدا لأنني جرحت وأزعجت من أحب .. أتمنى أن
تسامحني وأن تنسى ما حدث بيننا في ذلك الموقف.
وأريدك أن تبقى متذكرا أنني أحبك و أحبك و أحبك.
وأرجو أن يدوم ويكبر هذا الحب بيننا إلى الأبد .. وأعدك أن أكون زوجة
مطبعة لزوجها.

وأتمنى أن تكون سعيدا بهذه الرسالة المتواضعة ..



الحمد لله ... ارتحت من عناء العد لأنني كنت منذ أن حددنا تاريخ كتب الكتاب على أنه بعد شهر تكون في مخيلتي عداد تنازلي يحتوي أياما وساعات ودقائق، أتحرى بها لحظة ذهابي إلى محكمة الأنكحة مع والدها وشاهدين لتكون زوجة لي على سنة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، تحدثت مع محكمة الأنكحة لمعرفة الأوراق المطلوبة مني و معرفة ما إذا كان مطلوب مني أن أحدد موعدا مع القاضي أم لا ولم أكتفي بالهاتف فهكذا دائما المحبون كثيري الشك والحذر فقمتم بزيارتهم بعد يومين لأعرف ما المطلوب بالضبط، ومشيت بسيارو الزواج دون أن أدري لأنني أدركت في اللحظة الأخيرة عندما سألوني أين هي لندخلكما على الشيخ .. أدركت أنني أستبق الحدث وأن ما فعلته كان يجب أن أفعله وهي معي ولكن لا بأس لأنني على الأقل عرفت بالتفاصيل ماذا يجب أن أفعل عندما تحين اللحظة الفعلية. حدث في مثل هذا اليوم .. عبارة عن برنامج قامت به عدة قنوات فضائية كان مصدر معلوماتهم بعضا من كتب التاريخ وأرشيف من الجرائد والمجلات ولم يقوموا إلا ببعض التنسيق واستعراض بعض الأحداث التي كانت بنظر المنتج أو المخرج مهمة ومع صوت بنبرة كاريزمية يتم عرضه ليسرق عيون وآذان الكثير من المشاهدين الذين لا يدرون لماذا هذا الحدث

مهم من الأساس!! وما دفعهم إلى متابعته إلا الفضول.

تناقشت مع خطيبتي عن هذا الموضوع وقلت لها أين سنخلد الذكرى ولأي تاريخ أفي يوم عقد النكاح أم في يوم العرس في سوريا .. فكرت قليلا ثم قالت لي يوم العرس فأخبرتها أنه من المنطق أن يكون يوم عقد النكاح هو يوم الذكرى لأنك ستصبحين لي زوجة على سنة الله ورسوله في هذا اليوم وليس في يوم العرس .. ومع ذلك نسيت أن أخبرها هل سنعتمد اليوم الهجري أم اليوم الميلادي للأسف أن تخلي العرب والمسلمين عن هويتهم همّش من استخدام التاريخ الهجري ولو كان العرب والمسلمون جديين في استخدام التاريخ الهجري لرأيت العالم كله مهتم به أو على الأقل يعطيه اعتبار ولاستخدم العالم الذي يتعامل مع أحد الدول الإسلامية برامجا لتحويل التاريخ كما يتم تحويل العملات بشكل يومي ولكن لا حياة لمن تنادي فعرب هذه الأيام عادوا عبيدا بعد كانوا ملوك الأرض لأنهم غيروا ما بأنفسهم فغير الله ما بهم ونكس راياتهم وسلبهم المجد الذي لم يعودوا يستحقوه ..

بيدوا بأني سأحتفظ بالتاريخ الهجري كذكرى لزواجي وسيكون الزواج على رأس قائمة "حدث لي في مثل هذا اليوم" في هذا التاريخ تحديدا، اتفقنا على أن نجتمع في المحكمة في صباح ذلك اليوم الجميل دخلت للمحكمة مبكرا للتأكد من أن كل شيء سيسري على خير ما يرام وعند دخولي بدأت

بالمقارنة .. رأيت نساءً ورجالاً كثيرون كل منهم ينتظر دوره ليعقد النكاح بإشراف اللجان الشرعية .. رجال دين كثيرون أميزهم بطريقة وضعهم للشماغ حيث يضعونه بدون عقال وغالبا ما يكون متأخرا عن مقدمة الرأس ليظهر جزء من قبعاتهم البيضاء بشكل واضح ولا عيب في هذا إن كان عن غير قصد أما إن كان يتصنعه البعض ليبدو متدينا فهذا عيب كبير لأنه مع الوقت بات يصبح كالهوئية، وإن صنعوا لأنفسهم هوية ظاهرية يمكن للصالح والطالح حينها أن يقلدها.

في ذلك المكان كنت أنظر لمن حولي وأقارن كيف أن الناس قد جاءوا إلى هنا يتبسمون لا يخافون من أحد يريدون أن يعفوا أنفسهم بالحلال على سنة الله ورسوله وبين من يذهب خلصة إلى الملاهي الليلية تجده يتوارى من خياله وينظر كثيرا يمنة ويسرة ليجث عن إحدى بائعات الهوى فيشبع غريزته الحيوانية بها، حيوانية لأنه اختار أن يضعها بالحرام .. اختار أن ينام مع غانية تشبه فتحة المجاري يفرغ بها الزناة شهوتهم ثم يمضون عنها ولربما استحقروها واستحقروا أنفسهم كيف سولت لهم أن يناموا مع واحدة لا تجمعهم معها أية روابط شرعية ولا مشاعر ولا حب لا و أيضا قد لمسها ولطخها ألف رجل قبله .. وحال هؤلاء حال أي علاقة غير شرعية يهيمن عليها الخوف والاختباء والذنوب وغضب الرب، كم هو الفرق كبير بين الحلال والحرام !!

وصل عمي وابنته وأمها والشاهدين وانتظرنا حتى جاء دورنا وطلبوا منا الدخول، وكان الشيخ يحمل ورقة قد طبعها له مساعده بعد أن أدخل بياناتنا في أحد الأنظمة وأدخل المقدّم والمؤخّر وأسماء الشاهدين ومن ثم طبعها ليقرأ الشيخ بعض الكلمات الجميلة بادئا باسم الله ومتأكدا من هوياتنا واحدا واحدا ومن ثم طلب من عمي أن يردد بعض الكلمات أذكر منها "زوجتك ابنتي على سنة الله ورسوله" وأن الشيخ طلب مني أن أقول لعمي .. "نعم قبلت بهذا العقد"، فقلتها حتما وبلا تردد.

قال الشيخ مبروك وبدأ من كان حولي بالمباركة والتقبيل .. أتأمل في بساطة الأمر مهر وشيخ وبضع كلمات .. أصبحت زوجتي، أصبحت حلالي كانت غريبة عني لا يحل لي لمس يدها، ثم أصبحت حلالي في ظرف ثوان قليلة.. تذكرت قوله صلى الله عليه وسلم: "اتقوا الله في النساء، فإنهن عوانٌ عندكم، أخذتموهن بأمانة الله .. الحديث" وعوان في الحديث تعني أسرى، بعدما انتهينا قلت لهم لقد كان الأمر برمته بسيط جدا فقالوا لي مازحين هيا لنعيده إن أعجبك، أنهيت الأمور المطلوبة وحصلت على عقد النكاح وصورت منه لاحقا خمس صور احتفظت بواحدة منها في محفظتي وأخرى بالسيارة واثنان لزوجتي بحيث نضعه في عين كل من يشكك في أننا صاحبين لا زوجين وعلى كل حال .. سبحان الله الذي فرق بين الحلال والحرام فالمتزوجين يبدو عليهم ذلك وسيماهم في وجوههم أما المتصاحبين فشحوب الخوف على

وجههم ساطع ويسهل اكتشافهم .. سيقول بعض من يسمون أن أنفسهم الآن بالمنفتحين فكريا ما هذا الكلام الذي يقوله وما هذا التحجر .. اسمحوا لي معاشر القراء هذا ليس رأيي الخاص والأدلة بذلك كثيرة فإن وجدتم لآرائكم الغيبة الغربية دليلا واحد فكلي آذان صاغية.

وصلّتهم إلى منزلهم وكنت قد اتفقت مع زوجتي أن نلتقي في المساء لوحدها وفعلا كان الشعور جميلا حينما صعدت معي في السيارة .. حينما صعد معي نصفي الآخر الذي كنت أنتظر قدومه لأكثر من ست سنوات .. كم هو الفرج جميلا من بعد الصبر.

أخذنا بالدوران في شوارع مدينة الرياض، توقفت عند إحدى المحامص وأخذت بعضا من المكسرات وتوجهت إلى حديقة علمدار الجديدة، كانت جميلة جدا ولكن أزعجنا بها كثرة الشباب وعندما وصلت كانت أول كلمة قلتها يا لله هؤلاء الشباب لم يتركوا لنا مكانا نجلس فيه .. ثم توقفت قليلا وضحكت وتذكرت أنني قبل الزواج كنت أقول .. يا ربي كل الأماكن مخصصة للعائلات .. لعائلات لم تترك لنا متنفسا نقضي به بعض الوقت ..

أمضيّنا هناك بعض الوقت ثم قررنا العشاء وكنت قد اخترت مطعمين دلني عليهم صديق لي يتميزوا بألذ الأطباق الإيطالية ولكن وللأسف يبدو أن الطعام اللذيذ يستحق الانتظار أو الحجز المسبق .. فقررت أن أخذ بطاقات

هذين المطعمين لنجعل عشائنا عندهم بمناسبة أخرى وتوجهت إلى مطعم آخر أعرفه ووجدنا مكانا مغلقا للعائلات وهذا كان مبتغاي لمست يدها للمرة الأولى وكان وجهها يمتلئ حمرة وكاد الدم ينفر من أنفها من كثرة الحياء .. كنت أنا في قمة سعادتي وأحسست أنني أمضي أجمل لحظات عمري وكان ما لمستهُ الأنعم على الإطلاق، كي لا أبالغ بدأت منذ تلك اللحظة بتخصيص مكان خاص لها في دماغي أحفظ به أدق تفاصيل خَلَقها البديع وأنا متأكد أنه مع الوقت سأكون على علم بتفاصيلها أكثر منها واستخدمت في تلك اللحظات سلطان قوتي في سحب يدها إلى فمي وتقبيلها لتكون تلك القبلة الأولى مني لها، ومضى الوقت يشابه العدّال لا يديروا لنا وجههم بعد أن يولّوا ..

لقائنا الأول استمر إلى الساعة الثالثة صباحا وفي اليوم التالي كان موعد الاحتفال الصغير بعشاء وتلبّيس الشبكة وبدأ أهلي و أهلها بالتصوير بلا كل ولا ملل حتى بدأت أفقد بصري وبصيرتي ولم أكن لأهتم إلا بشيء واحد .. متى سنجلس لوحدا كي أحظى بحلالي لأسرق منها بعضا من اللمسات والقبلات وأتمتع بحيائها الذي يعتبر أجمل ما في المرأة وأكثر ما يميزها لقد استطعت في ذلك اليوم أن أصيد عصفورين بحجر واحد وضممتها لصدري لأول مرة، كانت الضمة طويلة وكنت أشد بكلتا يداي بقوة وكأنني خائف بأن تفلت مني لدرجة أنني سألتها هل أَلمتك بضغطي فقالت لي كلا والتمست منها نفس الشعور فكان سرورنا يتساوى تقريبا في هذه التجربة الرائعة التي لا

أعتقد بأنّي سأمل يوما منها لأن شعرت بأنها تشحنني بفيض من حنانها هذا كان العصفور الأول أما العصفور الثاني فهو الذي انتظرت من أجله كثيرا ولم أقتله في حجري إلا بعد أن أفنّعه بجمال الموت لأنّي لم أشأ أن أغدّره أو أقتله وهو نائم .. العصفور الثاني كان القبلّة التي رسمتها على شفّتها كم كانت جميلة لقد أخذتني وهي إلى عالم آخر لا أستطيع أن أتذكر عنه شيئا إلا أنه كان جميل يجعلك تشعر بأنك وزوجتك لوحكما في العالم كله في ذلك اليوم خرجت من بيتهم على آذان الفجر واستغربت من إشارات المرور الستة التي تواجهني في طريق العودة للبيت كيف كانت جميعها خضراء، في اليوم الذي يليه توجهت إليها عند صلاة المغرب وكان أهلها خارج المنزل صلّيت بها إماما ثم انطلقنا لنشرب بعض العصير في مقهى يتميز بجوّه الرومانسي إضافة إلى إعطائك الخصوصية وهناك فعلت ما فعلت وكان أجمل ما فعلته أن خلعت لي حجابها وتركتني ألعب بخصلات شعرها، كم كان الشعور جميلا تفعل ذلك وأنت مرتاح لا تخاف من شيء لأنك تفعل الحلال .. أحسست أنني طفل في تلك اللحظة وأعتقد أن الغرف المجاورة لي أحسوا بما يحدث عندنا في الداخل رغم الخشب الذي يحيط بنا من كل حد وصوب ولكن صوته المرتعد من حركاتي المبالغيّة كان كافيا للتعبير عما يجري في الداخل "وهذا من الحماقات التي يرتكبها المحبّون فيما بينهم ولكن لا يعوا بها إلا بعد أن يفوت الأوان" يقول المثل عندنا " الذي يخرج من داره يقل مقداره " .. تذكرت مقولة لجبران يقول فيها إن المتحابين كالحمقى لا

يرون الحماقات التي يرتكبونها ولا أذكر هذه المقولة لأستشهد بما حدث في المطعم بل أود ذكر الأوقات التي كنا نحب بها أن نتبادل أطراف الحديث في الشارع وكان مكاننا المفضل بجانب شجرة ضخمة يواجهنا حائط وعن جنبنا سيارة كبيرة ولكننا لم نجده متوفرا إلا مرة أو مرتين.

لم أشعر بهذه الحماقة إلى في اليوم الذي يليه عندما بدأت بالتساؤل ماذا لو رأنا أحدهم ماذا لو قاطعنا بعض اللصوص أو المدمنين ماذا لو ماذا لو، فقلت الحمد لله وعاهدت نفسي أن لا أكرر هذا الفعل الطائش إلى في منزلنا أو منزلها .. لم نعد في تلك الليلة حتى الساعة الثانية مساءً وهنا بكرنا قليلا ليس لأننا نريد ذلك ولكن أنا عندي عمل وهي عندها مدرسة وكل منا تمنى لو أنه متفرغ للكلام العذب واللمسات الحنونة والهمسات الدافئة من الحبيب فأنا قلت لها ليت المال يقطف من على الأشجار وهي تساءلت كيف لنا أن نبقى سوية إلى الأبد لا يعكر صفو عالمنا شيء فقلت لها بالجنة إن شاء الله .. وتذكرت في تلك اللحظة مشهدا كنت أراه كثيرا في البرامج الوثائقية .. مشهد القروء حينما تفلّي ظهر شريك لها مستخرجة القمل من فذكرت لها المشهد وقلت لها أرجوا أن نكون مثلهم ولكن ليس في نبش القمل .. قالت بماذا إذن !! قلت لها بنبش العيوب والخطايا حتى يكمل كل منا الآخر .. فقالت لي إن شاء الله.

للأسف خنت نفسي بعد أن عاهدتها وتوقفت مجددا في أحد الحارات المظلمة ولم يكن الوقت متأخرا حينما توقفت أمامنا أحد السيارات المظلمة لينزل منها شابان يبدو أنهم بعمرى أو أقل بقليل وحينما رأيت أحدهم يتوجه نحو السيارة قمت بقفل الأبواب كحركة احترازية وحمد الله أنني فعلت .. جاء عندي وأول ما حاول فعله هو فتح الباب، فشقت النافذة قليلا وقلت له: خير ماذا تريد؟ فقال لي تفضل وانزل من السيارة فقلت له عفوا ولكن من تكون؟ فقال لي أنزل لتعرف فقلت لن أنزل حتى أرى هويتك وأعرف من أي جهة وبأي حق تطلب مني النزول فجاء صديقه وبدء بالضغط على أزرار هاتفه النقال والتأشير إلى طرف آخر من الشارع على أنه يطلب مساندة وأنا أحسست من البداية أن الأمر مسرحية فرجال الأمن يبدو عليهم من الأسلوب وأول شيء يفعلونه هو أن يظهروا بطاقاتهم الأمنية، كانت زوجتي في تلك اللحظات في قمة الخوف وكانت ترتجف .. نظرة لها نظرة فأومأت برأسها أن لا تفتح وكان شاحبة كالأشباح وفي تلك اللحظات لم أكن لأخاف على نفسي بقدر ما أنا خائف عليها وبالنهاية قررت ..

قلت له: ستريني بطاقتك أم لا فقال لي أنزل حتى أريك إياها فقلت له إن كنت من الشرطة فانظرا إلى رقم سيارتي وعمم عليها وشغلت سيارتي فإذا بأحدهم يقف خلفها ظننا بأنني سأخاف من التحرك، ولكني وضعت السيارة على وضع الرجوع وكدت أن أدهسه لولا أن قفز متفاديا جيروت الحديد .. وتوكلت على الله وأنا في كامل اليقين أنهم ليسوا إلا محتالين عاطلين

يتقمصون شخصية الشرطة لسرقة المال أو التمتع بالمرأة التي معي و لدينا
ظنوا أنها صديقة لي ولذلك تجرعوا فقالوا بما أنها تخرج معه فلم لا تخرج
معنا وبما أنه يتمتع بها فلم لا نتمتع بها وعلى كل الأحوال قد أكلوا نصيبهم
من الدعاء وصورة وجوههم في مخيلتي لن تمحوها الأيام.

في تلك الليلة رجعت إلى المنزل بعد أن ودعتها قرب منزلها بعناق حارق
يتخلله اعتذار خفي عما جرى واعتذرت لها مرات كثيرة لأن ضميري أنبني
عما حدث ولما رأيته من الخوف الذي اعتراها في تلك الليلة، عندما عدت
للمنزل تذكرت كثيرا من القصص التي تتعلق بالاختطاف والاعتصاب وبدأ
خيالي بشكل لا إرادي بتخيل الموقف نفسه ولكن مع تخيلي لفتح الباب
وتخيلت أنهم اختطفوها أمام عيناوي وأنهم أشبعوني ضربا .. وعندما استيقظت
من الخيال وجدت نفسي متعرقا ولم أتمالك نفسي فأجهشت بالبكاء ورفعت
أكف الدعاء، أدعوا لها أن يحميها من كل شر وأدع عليهم أن يريني بهم
عجائب قدرته وأن يرد ذلك في أهلهم حتى يتعظوا ونمت وعيناوي ممثلة
بالدموع خوفا وطمعا.

في اليوم التالي توجهت لأحد المحلات لأشتري عصاة خشبية كبيرة تشبه
مضرب البيسبول ويسمونها بالعامية "بالعجرة"، كخطوة احترازية للمستقبل فلو
واجهت أمثالهم مرة أخرى فلن يكون خيارني إلا أن أهشم رأسهم بها وأجعلهم
عبرة لمن يعتبر، اتصلت بصديق لي يعمل في الشرطة وأخبرته بما حدث

فقال لي اطمئن حتى ولو كانوا من الشرطة فمن حقك أن تطلب رؤية هويتهم فإن لم يفعلوا وهربت لن يستطيعوا فعل شيء لأنهم هم المخطئون، وأخبرته أيضا عن موضع العصا الخشبية فقال لي احذر لأنها ممنوعة، بعد أن انتهت المكالمة توجهت بشكل لا إرادي نحو نفس المنطقة التي رأيتهم فيها بالأمس وأخذت بالذهاب والإياب كالكشفة بُغية أن أجتمع بهم مرة أخرى .. أسير بالسيارة على مهل، مقطب جبيني وأنظر إلى كل شخص وكأني أبحث عن غريم قتل أبي وكأني جئت أبتغي الثأر ولكن لم أجد أحدهم وفي نهاية اليوم هدأت أعصابي وذهب الخوف عني وأعتقد بأن قراري في تركهم والهروب منهم في تلك الليلة لم يكن من نفسي وإنما كان من الله والحمد لله الذي هداني لهذا و هداني لكي أقرأ المعوذات وآية الكرسي قبل خروجنا تلك الليلة فكانتا لي حرزا من شياطين الإنس والجن ..

كان درسا لن أنساه علمني أن لا أبقى خارج المنزل بعد منتصف الليل أو على الأقل أن لا أتوقف في الشارع ولو أمام منزلي .. وأتساءل حتى الآن كيف لأي شخص أن يتجرأ على عفيفة؟ أي قلب يملك؟ ألا يخاف من الله؟ العفاف .. كلما سمعت تلك الكلمة تذكرت حادثة حدثت منذ ٤ سنوات عندما قتلت فتاة بريئة عفيفة على يد أحد الأشخاص الذين أعرفهم عن طريق صديق لي !!

لقد قتل أخته باسم الشرف وللأسف كانت الدولة التي كنا فيها لديها قانون

غريب يسمح للرجل أن يقتل أخته أو أمه تحت قناع الشرف وتسجنه الحكومة إن فعل ذلك رفع عتب لمدة قصيرة إن ثبت بالطب الشرعي صحة ما يدعي، ولا أدري إن كان قد أثبت الطب الشرعي ذلك أو لا .. فالموضوع مستنكر لدي من الأساس لعدة أسباب، السبب الأول أن الفتاة البتول الغير متزوجة لا تقتل إن زنت حسب تعاليم الإسلام وإن شهد على زناها كل سكان الأرض والأمر الآخر الذي أستكره هو الازدواجية فهذا الذي حدثتكم عنه خنزير .. نعم خنزير لأنه كان يزني كثيرا وله عدة تجارب فكيف تخول له نفسه أن يقتل أخته ولا يقتل نفسه .. ألم يكن من الأجدر أن يقتل نفسه حينما شك بها لأنه هو من قبل ذلك تعدى على أخوة وبنات الناس فلماذا لم يقبل ذلك على نفسه هذا على فرض إن حدث، وبالمناسبة فإن هذا القانون منتشر في أكثر من ٤ دول عربية لا على التعيين والسؤال الذي يطرح نفسه هل يجوز للفتاة أن تقتل باسم الشرف أم أنه شيء مخصوص للمجتمع الذكوري الأناني؟ ليس بيدي إلا أن أقول لا حول ولا قوة إلا بالله، وأن أذكر الناس ببيت الشعر:

لا تنتهي عن شيء وتأتي بمنثله عار عليك إذا فعلت عظيم

مرت الأيام بسرعة خيالية، بعد كان موعد اجتماعنا الأسبوعي كل خميس، كان هذا اليوم هو أفضل أيام الأسبوع بالنسبة لي أكثر ما يجذبني إليه هو أنني سأحضرها وأنا على السرير وهي فوقني تضيق بضخامتي فتشبعني حنانا

وتألمي شعورا بالرجولة، لقد انقضت الأيام بسرعة دونما أحداث مميزة لأن كل لقاءاتي بها كان مميزا فكيف أجد من المميز مميزا ؟!

الوداع الأول:

لقد كان وداعنا الأول فور انتهاء دراستها وكانت تشد رحالها إلى سوريا للتحضير إلى العرس، لقد كانت لحظات صعبة كلما شعرت بها تذكرني بالمقولة المشهورة "عازب دهر ولا أرمل شهر" وهي تعني لا بأس أن يعيش الأعزب طول عمره بدون امرأة ولكن من الصعب جدا أن يعيش من تزوج بدون امرأة أكثر من شهر، لقد شعرت بهذا بعدما افتقدت من كنت أضم ومن كان يقول لي كل يوم قبل أن أنام أحبك، جاء موعد السفر وذهبت إلى بيتهم مودعا أجر خطواتي وكأني أمشي بجنابة شخص عزيز علي كان اللقاء صعبا لأن نهايته ستكون الوداع تخلله الكثير من العناق وكأني سأراها للمرة الأخيرة في تلك الليلة تركت لها رسالة لنقرأها غدا أثناء سفرها كان نصها:

"زوجتي تقى اعذريني فوداع الأحبة صعب على قلبي ..

أشعر وكأنه محاكاة لخروج الروح من الجسد.

أشعر بشوك في حلقي... يتحرك ببطء .. يؤلمني .. يجعلني أختنق، أكتب

آهاتي وعيوني تتجمد من هول الموقف فلا تقوى على ذرف الدموع ..

ولكنها ستتفجر باكية حينما تجد نفسها وحيدة في آخر الليل ..
كم هو صعب وداع الأحبة ولكن الأصعب منه هو فراقهم الأبدى إلى الرفيق
الأعلى

فالحمد لله أننا ما زلنا على الأرض سوياً والحمد لله أن لقائنا القادم ليس
ببعيد، والحمد لله أننا سنجتمع قريباً تحت سقف واحد
حبيبتى تقى .. لا تذرفى الدموع فهي غالية..، لقد كانت الأيام الماضية من
أجمل أيام حياتي .. والأيام القادمة ستكون أجمل يزيئها وجودك.
وداعا يا نبع الحنان .. وداعا يا شعوري بالأمان ..
وداعا يا من ملئ حياتي بالألوان ..

من لحظة مغادرتك سيتوقف عندي الزمان
ويمتلئ صدري بالأشجان ويدندن لسانى بالألحان
لحن حزين ينسجه الحنين يتردد صداه بالأكوان
ينادي بشوق وهيام .. متى سنصبح زوجان"

كان المتبقي شهر واحد فقط على موعد زواجنا وقد مضى هذا الشهر
بصعوبة وكان الشهر الذي حظي بأقل عدد ساعات نوم في حياتي لدرجة أن
بياض عيناى اختفى وتبدل بلون أقرب إلى الحمرة من قلة النوم، كنت أسأل
الله كل يوم أن يخفف ضغط عملي لأنني منهك من قلة النوم، أرّقني كثرة
التفكير وتحري موعد الرحيل.



- ٩ -

تبقى على موعد عرسي عشرة أيام فقط، أعدها بالدقيقة والساعة وأودع أنفاسي الأخيرة التي أنتفستها كأعزب، جهزت منزلي وتبقى لي أن أحضر بعض الأمور الأخرى التي لم أستطع إحضارها لعدم توفر المال، وهذه حال يمر بها معظم الشباب المقبلين على الزواج ولكنهم يتفقون جميعا على أن الزواج بركة وأن الله يرزق الرجل من حيث لا يحتسب فيجد نفسه قد نجح في تحقيق كثير من الأمور كان يجدها غير منطقية عندما كان يفكر في تحقيقها .. كنت فاقدا الأمل أن أجد بيتا يؤويني وكانت أجازات البيوت مرتفعة، طلبت من أحد أصدقائي أن يؤمن لي دهانا ليجهز لي غرفة كانت على سطح بيتنا واتصل بي الدهان بعد يومين وكنت في غاية الأسى لذلك لأن من يسكن وحده يحظى براحة أكبر وخصوصية أكبر، اتصل بي الدهان و أرشدته إلى موقع البيت واتفقنا أن نلتقي في موعد محدد، بعد أن أنهيت مكالمتي مع الدهان جاءني اتصال من أحد الأطباء وكان ينوي أن يترك البلد ويريد من يكمل عنه أجار بيته ويشترى بعضا من أثاثه وقال لي إن كنت تريد ذلك فتفضل وكان قد حصل على رقمي من أبو زوجتي، قلت له أعطيك قرارى بعد ربع ساعة .. أشعر بالتيه على مفترق طرق لا أدري أي السبل أسلك هل أقابل الدهان أم أذهب للطبيب .. لم أملك الكثير من الوقت،

اتصلت بالطبيب وقلت له نتقابل عند الساعة العاشرة، ثم اتصلت بالدّهّان واعتذرت منه وقلت له أحدثك لاحقا .. واتفقت بالنهاية على أن آخذ بيت الطبيب فسبحان ربي الذي لا ينسى عباده رغم يأسهم.

حظيت ببعض الأيام في بيتي الخاص وسألت الله أن يجعله عامرا بتقواه ورضاه، وبالتأكيد تمنيت مع الأيام أن يكون لدي بيت ملك باسمي بدلا من بيت مستأجر، اقترب موعد السفر و أغراضي جاهزة قبل أسبوع تنتظر مني أن أرميها في الطائرة .. أفكر بزوجتي كثيرا حتى أصبحت أراها في منامي كل يوم تقريبا وأشتكي قلة النوم وكذلك هي تشتكي لي ذلك، لقد ذهب الكثير وتبقى القليل.

غدا موعد السفر، ذهبت إلى المطار قبل الإقلاع بساعتين تحسبا لأي طارئ، وكنت قد اتفقت مع زوجتي مسبقا أن تستقبلني من المطار ثم تعود معي إلى المنزل لقد مضى شهر على فراقنا ولكنه كان كالسنة لقد بدأت أفهم المعاني القرآنية بعدما تزوجت وبدأت أعرف تماما ماذا كانت تعني كلمة "سكن".

كان اللقاء حارا ولكن للخجل لم أظهر مشاعري أمام الناس وانتظرت حتى اختليت بها في البيت، ساعات قليلة تفصلنا عن العرس، رغم أن بعض

الناس نصحوني بأن لا أجتمع بها قبل أسبوع كامل من العرس نظرا للتوتر
الحاصل إلا أنني لم أشعر بتوتر إلا وأنا بعيد عنها.

جاء موعد العرس وتجري عادتنا في دمشق أن يجتمع الرجال بفترة ما بين
العصر والمغرب في صالة مسجد ليستفتح جلستهم احد مقرئي القرآن، ومن
ثم فرقة إنشادية وقد يتوفر شيخ ليلقي كلمة ومباركة على العريس والحضور
ويختتم كلمته بالدعاء وبعد هذا الاجتماع يؤخذ العريس إلا بيته ليغير ملابسه
ثم يزف بعد صلاة العشاء مع " العراضة الشامية" التي تضرب بالسيوف
والطبول ملقية جمل مبهجة تخص مناسبة الزواج يرتدي أعضائها اللباس
التقليدي القديم لأهل دمشق التي لم يعد يرتديها إلا هم وقلة قليلة من عامة
الناس.

لا أدري لماذا يراودني فكرة أن المرأة تفرح بالعرس أكثر من الرجل، ولكن
الناس تقول بأنه أسعد يوم في حياة الإنسان، أتذكر بهذه المناسبة قول أحد
السلف حين سأل أحدهم ما هو أسعد يوم في حياتك؟ فجاوب يقول: يوم يغفر
الله لي، أسأل الله أن يغفر للمسلمين في ليلة زواجهم لتصبح الفرحة فرحتين.

أحلم بهذا اليوم منذ وقت بعيد وها قد أتى أخيرا، كنا قد حضرنا له كثيرا من
حزج للصالة وطباعة لبطاقات الدعوة، يوم العرس مشابه ليوم الموت كثيرا

من حيث الزوار فهم يأتون من كل مكان ليسعدوك بحضورهم قد يجتمع في يوم عرسك أكثر عدد من معارفك ليزفوك إلى عروسك التي تنتظرك بشوق.

في ليلة العرس معظم الحاضرين مسرورين ولكن يجب دائما أن يكون هناك معارضون ولكن لا اعتراض على قدر الله وأولئك المعارضون هم أكثر من ينشطون في تلك الليلة ويرقصون كرقص الطير مذبوحا من الألم لأن مخططاتهم لم تسير كما أرادوا ولم يتزوج العريس منهم أو لم تتزوج العروس منهم والكل يشتكي ويقول بماذا هذا العريس أفضل من أبنى أو بماذا هذه العروس أفضل من بنتي ..

يسهوا الجميع عن الحقيقة الواحدة أن هذا الزواج قسمة ونصيب، في ليلة العرس كنت أعجب لأمر كثيرة تبقي عندي أسئلة معلقة لم أجد جوابها حتى خضت التجربة بنفسى .. كنت أعجب من تلك الدموع التي تذرفها الأمهات .. لا أدري أهى دموع فرح أم حزن ولا أدري ما طعمها أهو مالح أم حلو ويبدو لي أن هذه الدموع خليط بين الأمرين فالأم تكون حزينة على فراق ولدها بعد أن أفنت نفسها في تربيته وسهرت جانبه عند مرضه وبكت لبكائه وبكت خوفا عليه وبكت فرحا له تراه أمام أعينها بعد أن أصبح مكتملا يذهب من بين يديها إلى يد فتاة أخرى، والأم تكون فرحة لفرح ابنها ولأن هذا الفتاة ستسعد فيكون شعورها حزن وفرح بنفس الوقت .. والأمر ذاته يحصل للأم العروس.

كنت قريباً من الانفجار عندما انسكب الشاي على ورقة لم أأخذ في كتابتها أكثر من عشرة دقائق فكيف بأُم كانت تكتب بابنها منذ أكثر من عشرين عاماً، وماذا كنت لأفعل لو أخذت بذرة زهرة وسقيتها واعتنيت بها وسمدتها ووضعتها بالشمس ثم نمت وتفتحت وأصبحت جميلة المظهر عطرة العبق ليأتي عابر سبيل ويقطفها بكل بساطة بعد كل هذه العناية!! لذلك علينا أن نقدر حزنهم ونقدر تعبهم في هذه السنين من حياتنا ونتذكر صبرهم وسهرهم عندما ونحن مرضى و إن استطعت وتذكرت أن تذهب لتمسح دموعها وتقبل يدها فافعل.

تتفرغ العارضة الدمشقية العريس إلى صالة النساء وعند صالة النساء يقومون بزفة حتى المدخل ليأخذ زوجته ويعود بها إلى البيت لتكون هذه المرحلة بداية لرحلة طويلة كان يظنها النهاية.

دخلنا إلى البيت ومن البيت إلى غرفة النوم !! وضعت يداي على مقدمة رأسها وسمّيت بالله قائلاً: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلت عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلت عليه

ثم توضأنا فقمنا لأصلي ركعتين على نيّة التوفيق كما جاء عن السلف وسألتهما أن تصلي خلفي، ثم دعوت جهرا بدعاء ابن مسعود " اللهم بارك لي

في أهلي، وبارك لهم فيّ، اللهم اجمع بيننا ما جمعت بخير وافرّق بيننا إذا
فرقت إلى خير" (١٥)

رفعت الخمار وأسدلت الستار وأطفئت الأنوار وتعودت من طوارق الليل
والنهار الأشرار منهم دون الأخيار

وهمست في أذنّها: أحبك ..

هكذا بدأت رحلتي بنظرة فابتسامة، تآلف فإعجاب، تناقش فانسجام، تفاهم
فوثاق، ثم شوق إلى لقاء ثم وقوع في الحب ثم غرام فعشق فهيام وولع ووجد
وختمت هذه الرحلة بالزواج.

يقول هوجو: "إنني إذا أصف عواطف أبي، أصف عواطف جميع الآباء"
فأرجوا أن أكون قد وصفت عواطف جميع الأزواج حينما وصفت عواطف
كزوج.

ما أجمل أن يكتب الواحد من دمه ومن مداد قلمه !! قصصاً حقيقية لا
أساطير خرافية .. ويرسم فرحته بتكوين أسرة سعيدة فوق أزهار ريعية ..
ويسطر أحرفاً مغلفة بالحب والمودة لنصفه الآخر مدادها دموع الفرح !! (١٦)

^{١٥} رواه الطبراني بسندين صحيحين

^{١٦} مقطع من مقالة (أصدق وأنقى حب مع الإنسان) في المجلة العربية بقلم سليمان العقيلي.

كم هو شيء عظيم إن كان في مكانه الصحيح وفي الوقت الصحيح، لم أستطيع إحصاء عدد المرات التي بحث لها بحبي سواءً عن طريق الهاتف أو الرسائل أو وجها لوجه.

ولكنني على الأقل استطعت إحصاء عدد المرات التي ذكرت بها كلمة حب في روايتي هذه وهي أكثر من مائتان وستين مرة فكم مرة سأذكرها في حياتي يا ترى؟

لقد كان هذا اختياري فمن سيمشي على آثاري، ويختار الحب الحلال ؟ (١٧)

تم بحمد الله

٢٩ من رجب لعام ١٤٣٠ هجرية

الموافق ٢٢ من يوليو لعام ٢٠٠٩ ميلادية

^{١٧} أود التوضيح أن تجربتي هذه لم تكن صحيحة من وجهة نظر شرعية وإنما شايها بعد الأخطاء إما للحاجة بسبب العادات والتقاليد وإما لجهل وسوء فهم مني، فلا تؤخذ هذه الرواية كمرجع ديني لمثل هذه الأمور لأن كل ما أردته منها أن أوضح فكرة محاسن الزواج والحب بطرق شرعية وأرجوا من الله أن أكون قد نجحت في توصيل هذه الفكرة، إن أخطأت فمن نفسي وإن أصبت فمن الله، وإن خالفتموني في بعض النقاط في الرواية فهذا طبيعى والخلاف كما قال الشافعي لا يفسد للود قضية، أحبكم بالله وأسأل الله لجميعكم التوفيق والسداد، والله أعلم وصلى الله وسلم على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

آلمني انتشار روايات الأدب الجنسي وما هي إلا روايات تحمل بين طياتها إلا دعوات للرذيلة والاتحلال الخلقي، فأحببت أن أقوم بمبادرة أعكس من خلالها للقارئ روعة وجمال تجربة الحب بالحلال، سائلا المولى أن يقرب الفكرة إلى قلب كل أعزب أرهق من طغيان العولمة والانفتاح.

هناك فرق كبير بين سمو الأحاسيس والمشاعر وبين طغيان الغرائز والأهواء، مفارقات كثيرة بين الحب الحرام والحب الحلال، هناك فرق كبير بين حب يُحاك نسيجه في السر وآخر في العلن، هناك فرق كبير بين حب مليء بالشبهات والحرمان وآخر يجلّله الوفاء والصفاء علاقات كثيرة سمعنا بها أو رأيناها من حولنا أو عايشناها ولكن على ماذا يجتمع أولئك المحبون بالحرام وإلى ماذا يتوصلون وإلى أين يصلون في نهاية المطاف؟

بقلم: المهند السبيعي

